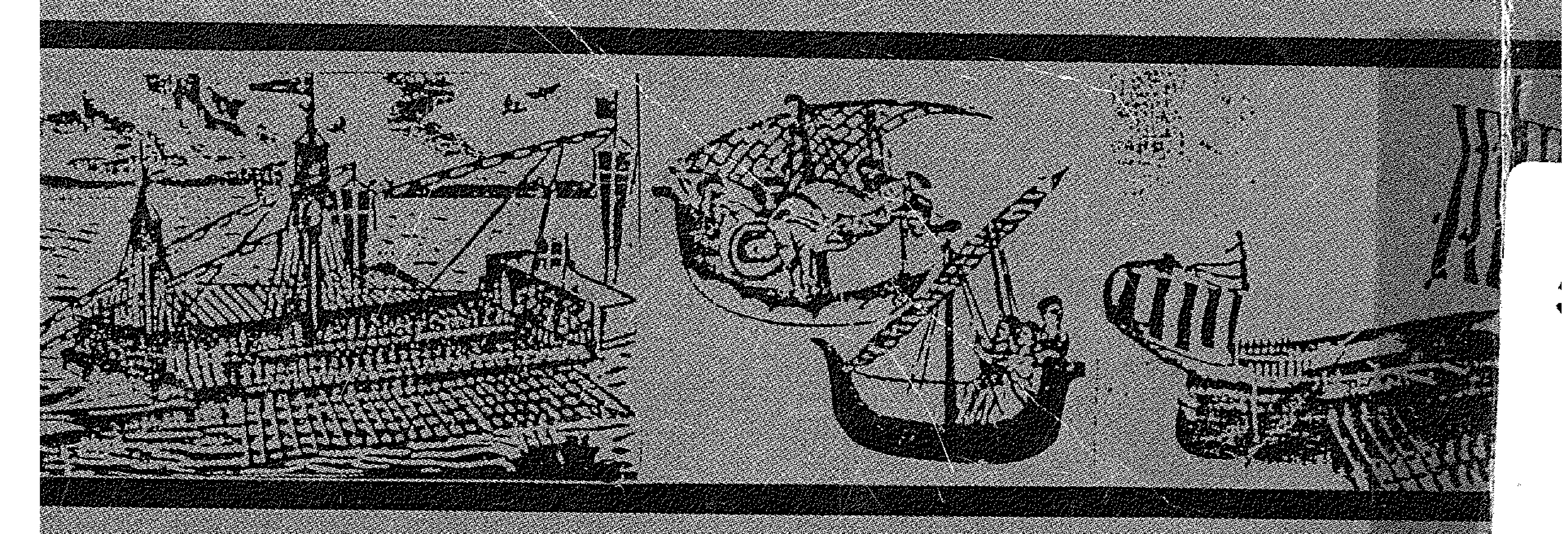
نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثريه والتاريخية
مشروع المائة كتاب

٧

تاريخ فن القتال البحرى

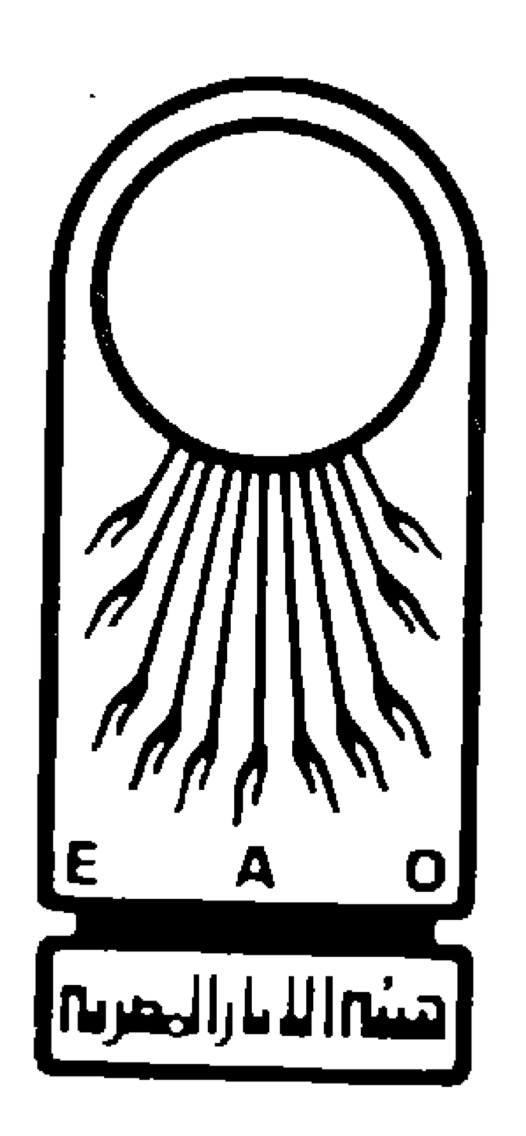
في البحر المتوسط «العصر الوسيط»

(٣٥هـ - ٦٥٥م / ٩٧٨هـ - ١٥٧١م)



تأليف

د. احمد رمضان احمد



وزارة الثقافة
هيئة الآثار المصرية

تصميم وتنفيذ : آمال محمد صفوت الألفى
مطبعة هيئة الآثار المصرية

نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثريه والتاريخية
مشـروع المائة كتاب



تاريخ فن القتال البحرى في البحر المتوسط

« العصر الوسيط »

(٣٥هـ ـ ٦٥٥م / ٩٧٨هـ ـ ١٥٧١م)

د. احمد رمضان احمد

تاريخ فن القتال البحرى فى البحر المتوسط فى العصر الوسيط
من سنة ٣٥هـ / ٦٥٥م حتى سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧١م

إن فن القتال البحرى ، فى البحر المتوسط يحوى أهم المعارك البحرية التى أصَّلت وأضافت إلى فن القتال البحرى فى العصور الوسطى الشىء الكثير . وحفلت العصور الوسطى بصراع بحرى مسلح إحتل فيه الصراع الإسلامى المسيحى دور السيادة . ولم يكن الغرض الأول من هذه الصراعات المعتقد الدينى بقدر ما كان الدافع الإقتصادى والسياسيى اللذان دخلا فى إطار استراتيجية دينية عُليا ، كانت هى السائدة طوال العصور الوسطى . وتخلل هذا الأسلوب العام نزعات استعرت داخل المعسكر المسيحى مثل الصراعات البحرية بين (الكيمونات) الإيطالية على سبيل المثال .

ونستهل الحديث عن فن القتال البحرى فى البحر المتوسط خلال العصور الوسطى بالتنويه عن ندرة المصادر التاريخية التى تناولت هذا الجانب ، الأمر الذى جعلنا نلم شذرات الموضوع من هنا وهناك ، ونرأب ذات الصدع بينها محاولين أن نستشف ما تنم عنه ثنايا أسطر المصادر التاريخية من قريب أو بعيد فى فن القتال البحرى فى البحر المتوسط فى العصور الوسطى . واذا كانت المصادر والمراجع الغربية ، حرصت أن تعطى صورة شبه متكاملة نسبياً عن البحار والبحر المتوسط بخاصة والحروب التى دارت فيه ، فتناولوا العصر القديم والوسيط [1] ، إلا أن المصادر العربية أغفلت ذكر البحار ومسيّر الحروب التى دارت رحاها فيها . ومن ثم افتقرت المصادر التاريخية العربية إلى تتبع تطور فن القتال فى المعارك البحرية التى خاضتها البحرية الإسلامية فى البحر المتوسط ، ولم تعد المعارك البحرية التى خاضتها الشعوب الأخرى التى تطل عليه شيئاً من الاتصال . ولعل مرد هذا القصور عن الكتاب

الذين أرخوا للمعارك الإسلامية الأولى ، أنهم نظروا إليها من وجهة النظر الدينية ، وأقصد بهؤلاء كتّاب السيرة النبوية ، وهم الذين تعرضوا للمغازى . ولعلهم وجدوا أن هذا الموضوع ينطوى تحت راية الجهاد فى سبيل الله ، والذى يكاد الإسلام أن يجعله ركن الإسلام السادس ، فى حين اعتبره الخوارج ركناً أساسياً لا يكمل الإسلام بدونه .

وهكذا كان العامل الدينى السبب الأول فى المعارك الإسلامية (برية وبحرية) رفعاً للواء الجهاد فى سبيل نشر العقيدة . فجبَّ الجهاد ذكر تفاصيل فنون القتال فى ثنايا الوصف الدقيق للمعارك ، والذى ورد عن كتاب المغازى فى إختصار مخل لا يشفى غلة الباحث ، فى حين نجد كُتابا سابقين عن الإسلام يولون وصف المعارك جهداً أكثرا تفصيلاً من أمثال بروكوبيوس (Procopius) [٢] . وبرغم ركوب العرب البحار والقتال فيها منذ عهد الخلفاء الراشدين إلا أننا لم نقف على مؤلف مستقل عن تاريخ الحروب البحرية حتى مجىء المماليك فى مصر والشام . وبرغم وجود العديد من التصانيف التى تناولت فنون القتال فى البر [٣] ، لكنهم ضربوا عرض الحائط فى وصف سير المعارك التى خاضوها فى البحار ، حتى أننا نكاد نكون كحاطب بليل عند دراسة هذا النوع من القتال .

وواقع الأمر أن المماليك قد أقاموا قسمة ضيظا بين الحرب فى البر والبحر ، وهم الذين اضطلعوا بمهمة الوقوف أمام النشاط الصليبى البحرى فى البحر المتوسط . وقد يكون السبب الذى جعل اهتمام مماليك مصر والشام بالمعارك البرية دون البحرية هو اعتبارهم واجب الأسطول الأول النقل البحرى للجند إلى أرض العدو ، كما اعتبروا فن القتال البحرى ماهو إلا إمتداد لفن القتال البرى [٤] . على أننا لم نكن نتوقع أن ينظر المماليك لى الفن البحرى هذه النظرة وهم الذين قطعوا شوطاً فى فنون الحرب فى البحر ، فضلاً عما ورثوه من خبرات السابقين فى هذا المجال . وكان يمكن التجاوز عن تعريف الحرب البحرية على أنها إحدى صور الحرب فى البر عند نشأة البحرية الإسلامية فى أوائل عهد الدولة الأموية ، ولكن يختلف الحال مع المماليك الذين خبروا أن لب الاختلاف بين فنى الحرب فى البر والبحر هو اختلاف القدرة على المناورة وسرعتها .

فلا يمكن عقد المقارنة بين القدرة على المناورة وسرعتها بين الجند المشاة والفرسان خاصة ، وبين السفن الحربية فى عرض البحر أو بالقرب من موانئ العدو . فوسيلة المناورة والقدرة عليها فى البحر تعتمد على قدرة السفينة على تغيير اتجاهها والزمن الذى تستغرقه فى هذه المناورة ، خاصة عندما كانت السفن تعتمد على المجاديف (Age of Rowing) ثم على الشراع (Age of Sail) (٥) . وهو دون شك يختلف اختلافاً بيّناً عن قدرة الفرسان خاصة الذين يعتمدون على خفة حركة الخيل وقدرتها على تغيير اتجاهها وفقاً لارادة الفارس ، وفى وقت قصير لا يذكر بالقياس إلى قدرة السفينة عليها ، وبزاوية أنّى للسفن أن تأتى بها ، ناهيك عن الجند المشاة فأرجلهم تمكنهم من احداث هذا التغيير فى الاتجاه فى زمن قليل .

وإذا كانت المصادر الإسلامية قد أطنبت فى ذكر أنواع الأسلحة التى استعملها المسلمون وغير المسلمين فى الحروب البرية والبحرية ، سواء كانت أسلحة قاطعة كالسيوف والحراب وماشابهها ، أو نافذة وهى أسلحة الرمى كالأقواس بأنواعها والمناجيق وماإليها والمكاحل بأنواعها (٦) ، لكنهم لم يحددوا أسلحة للقتال البرى وأخرى للقتال البحرى . واذا كانت هذه الأسلحة وما جاء فيها من وصف تمد الباحث فى مجال التاريخ الحربى بما يسترشد به ، بطريق غير مباشر ، فنون القتال البرى ، فانه فى مجال فن القتال البحرى يظل فى حيرة ، فالمكان الذى تستخدم فيه هذه الأسلحة (أى السفن) محدود . ومما يزيد من حيرة القارئ عدم معرفته موضع حاملى هذه الأسلحة بأنواعها هل فى مقدم السفن أم على جانبيها أو فى مؤخرتها ، وهو تساؤل ضرورى يعين على تصور فن الحرب الذى تتخذه السفن الحربية فى عرض البحر أو أمام مرافىء العدو .

ومن المعروف أن الحروب البحرية كانت المسيطرة على مجريات الأحداث فى التاريخ القديم للبحر المتوسط ، فقد كانت تقوم فى الأساس على السيطرة على البحر ، بمعنى أنها تسيطر على التجارة المنقولة فى هذا البحر ، فضلاً عن تأمين نقل الجند بحريا (٧) والرسو بهم فى المناطق الاستراتيجية من أرض العدو . والسيطرة على هذه التجارة البحرية الأخرى ضمان المورد المالى لسد مستلزمات الحرب . ويمكننا أن نوجز فوائد الاسطول البحرى فى جميع العصور فى فائدتين رئيسيتين الأولى تحطيم

أسطول العدو ، والثانية اجباره على البقاء فى موانيه دون أن تتاح له فرصة التحرك ، وهكذا تتبين إمكانيات الأسطول البحرى فى حالتى الحرب والحصار .

ويتعين على من يُقْدم على الكتابة عن الحروب البحرية وتطور فن قتالها ، أن يعرف أسلوب أو طريقة شل حركة القوات البحرية للعدو التى كانت تعتمد إلى حد بعيد على تطور بناء السفن الحربية . على أن حركة تطور بناء السفن الحربية لم تتم دفعة واحدة ، فقد بدأت فى أول الأمر بتطوير السفن التجارية حتى يتسنى لها الاضطلاع بواجباتها القتالية ولو نسبياً . ففى الفترة التى إعتمدت فيها السفن على التجديف (Rowing) كانت هشة لا يمكن أن تحتمل ضراوة الحروب البحرية [٨] . وتأسيساً على ما سبق فانه لم يكن هناك أسطول بحرى قائم ، وانما كانت القوات البحرية تستنفز وقت الحاجة .

أما عن ميدان المعارك البحرية وفنونها موضوع دراستنا وأعنى البحر المتوسط ، فهو من البحار التى انفردت بظاهرة جغرافية نادرة وذلك لوقوعه بين قارتين من قارات العالم القديم ، هما أوربا وأفريقيا . كما أن البحر المتوسط من أعمق بحار العالم اذ يبلغ عمقه عمق أربعة وديان من الوديان التى يجرى فيها قرابة الألف قدم ، وتمتد هذه الوديان حتى تلتقى مع أربعة وديان أخرى يتراوح عمقها ما بين ستمائة وتسعمائة قدم . واذا أضفنا إلى الوديان السالف ذكرها واديين آخرين أحدهما فى غربه والذى ينتهى إلى مضيق جبل طارق والثانى إلى الادرياتيك ، استطعنا تقدير مدى عمق واتساع مجرى البحر المتوسط [٩] .

وبرغم انفراد البحر المتوسط بهذا الموقع الجغرافى النادر ، إلا أن ذلك لم يؤد إلى وحدة المناطق المحيطة به ، بل على العكس من ذلك فهو من أكثر البحار التى تعرضت البلاد المطلة عليه للحروب البحرية [١٠] . ونخلص من هذا إلى أن الظواهر الطبيعية لموانىء البحر المتوسط يكن تقسيمها إلى قسمين متميزين القسم الأول يمتاز بعمق مياهها لوجود صخور كبيرة على جانبيها ، والقسم الثانى يمتاز بوقوعها على ممرات منخفضة [١١] .

وفن القتال البحرى يبدأ بتناول أساليب تحرك القطع البحرية ، وهذه الأساليب بدأت تأخذ هيأتها من خبرات المعارك البحرية اليونانية القديمة والرومانية

القديمة ثم البيزنطية ، وأخذت فى التطور تبعا لتطور بناء السفن حتى العصور الوسطى ، وظل الكثير منها معمولاً به حتى اليوم . لقد كانت أبسط وأقدم أساليب تحرك السفن الحربية هى اصطفاف السفن فى خط رأسى (Column or Line a head) (شكل رقم ١) بحيث تكون كل سفينة خلف الأخرى . وقد كان هذا التشكيل أحسن الطرق وأفضلها للإبحار ، لكنه لم يكن مناسباً للحرب البحرية التى كان من أسلحتها أسلحة القذف أو الصدم (Hurling or Ramming Weopons) ، لأن الحرب تقوم فى الأساس على الاصطفاف العرضى (Line Abreast) (شكل رقم ٢) الذى يمكّن كل سفينة من تسديد رماحها إلى سفن العدو ومن عليها من جنود مباشرة ، ومن ثم تتمكن من احداث الخسائر فى الأفراد والسفن [١٢] .

كما تفرع عن الاصطفاف العرضى تشكيل أو هيئة أخرى هى الهلال المقلوب (Convex Crescent) (شكل رقم ٣) وتشكيل الهلال (شكل رقم ٤) ، وكذا تشكيل رأس السهم على أن يكون رأس هذا السهم فى اتجاه سفن العدو (Wedge with Apex towards the enemy) (شكل رقم ٥) ، ثم تشكيل رأس السهم المقلوب (Scissors) وتكون رأسه بعيدة عن سفن العدو أما جناحيه فقريبة منها (شكل رقم ٦) . وتكون الصورة العامة للأسطول فى تحركه إما على هيئة صفوف الصف يعزز ويقوى الآخر ، على أن تكون جميع الصفوف متشابهة ، إما على شكل صف عرضى أو هلال أو هلال مقلوب ويكون الالتزام الوحيد أن يكون الخط المنحنى – فى حالة وجوده – فى المقدمة والخط المستقيم فى الخلف (شكل رقم ٧) [١٣] . ويمكن تغيير تشكيل السفن من الوضع الرأسى إلى الوضع المستعرض وبالعكس ، أما الحركة الدائرية فتحتاج إلى تغيير اتجاه السفينة (شكل رقم ٨) .

ثم هناك تشكيل آخر للمعركة البحرية هو التشكيل الدائرى [١٤] ، ويتوخى فيه أن تكون الوحدات مشتركة فى مركز واحد . وقد استمر اتباع هذا التشكيل من القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى ، فقد استخدم فى معركة أرتميزيم البحرية (Artemisium) سنة ٤٨٠ ق.م بين الإغريق والفرس ، ومعركة بناكتوس (Naupactus) البحرية سنة ٤٢٩ ق.م بين الاثينيين

والبلوبونيز ، وموقعة دورازو البحرية (Durazzo) سنة ١٠٨١م بين جنوة والبندقية [١٥] .

ويرى فركارولى (Fracaroli) [١٦] أنه برغم تعدد أشكال تحرك القطع البحرية قبل وأثناء المعارك البحرية إلا أن المعلومات تكاد تكون معدومة عن كيفية تطور هذه التشكيلات القتالية . وواقع الأمر أن التشكيلات البحرية مشابهة للتشكيلات البرية ، ويمكننا القول بأن التشكيلات البحرية مأخوذة من تشكيلات الحرب البرية لكونها الأقدم . أما عن تطور التشكيلات البحرية السالف ذكرها فقد أملاها موقف العدو ومكانه فتشكيل الخط الرأسى يصلح للتحرك خاصة فى المضايق وما شابه ذلك ، والصف العرضى يتبع عند بداية المعركة ، وتشكيل رأس السهم المقلوب يتخذ عند التحرك فى مناطق يُشك وجود سفن العدو بها ، وتشكيل رأس السهم يستخدم عند التيقن من مكان العدو ولاختراق صفوف سفنه .

بل لقد إتخذت الأساطيل البحرية نفس التشكيل الخماسى المعروف للجيوش البرية وهو القلب والميمنة والميسرة والمقدمة والساقة أو الاحتياطى . وقد ظل التشكيل الخماسى معمولاً به فى الحروب البحرية فى البحر المتوسط حتى الصف الثانى من القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى فقد أتبع هذا التشكيل فى معركة لابنتو (Le Panto) سنة ١٥٧١م بين عصبة الدول المسيحية والدولة العثمانية . وهذه المعركة تعد آخر المعارك البحرية المعقدة التى وقعت فى البحر المتوسط فى عصر استخدام المجاديف [١٧] .

كما يقوم فن القتال البحرى فى العصور الوسطى على استخدام أسلحة الرمى كالسهام والرماح والمكاحل فضلاً عن سلاح آخر مكمل وهام هو استخدام قوة الرياح والأمواج أفضل أستخدام . ولما كانت معظم المعارك البحرية فى البحر المتوسط فى العصور الوسطى للسفن ذات المجاديف ، لذا كانت تدور رحاها بالقرب من الشاطىء ، وكان النصر حليف الأسطول الذى يتمكن من توسيع جبهته القتالية حتى يقترب أحد جناحيه من أى حاجز طبيعى على الشاطىء [١٨] ، مثل جزء ناتىء داخل البحر أو ماشابه ذلك (شكل رقم ٩) . فتضاريس الشاطىء يمكن أن تكون قوة تضاف إلى أحد الأسطولين المتقاتلين إذا أحسن الاستفادة منها

فيمكنه الارتكاز بأحد جناحيه على هذه التضاريس فيأمن خطر التطويق من جهة الشاطىء ويبقى أمامه الدفاع عن الجناح الذى هو من جهة البحر وهو المعرض للتطويق .

من العروف أن العرب بعد فتحهم لمصر واستيلائهم على الأسكندرية سنة ٢١هـ / سنة ٦٤١م قاموا ببناء أول أسطول بحرى فى طرابلس الغربى سنة ٢٥هـ / سنة ٦٤٥م الأمر الذى أحدث انقلاباً فى ميزان القوى فى البحر المتوسط مما ساعد المسلمين على القيام بدور بارز فى تاريخ الحروب البحرية فى البحر المتوسط فيما بعد . ولم يكن معنى ذلك أن العمليات البحرية التى قامت بها القوات الإسلامية فى ذلك الوقت فى شرق البحر المتوسط [١٩] ضد جزر قبرص ورودس وكريت [٢٠] قد قضت نهائياً على سيطرة بيزنطة البحرية [٢١] .

إلا أن القلق بدأ يسيطر على بيزنطة منذ بداية التفوق البحرى الإسلامى بعد هزيمة الأسطول البيزنطى الذى كان يقودة الامبراطور بنفسة فى موقعة ذات الصوارى (Phenicus) سنة ٦٥هـ / سنة ٦٥٥م [٢٢] وقطع المسلمون الاتصال بين العاصمة البيزنطية وبين الأقاليم التابعة لها فى غرب البحر المتوسط [٢٣] .

ولعل السبب فى هذه الحالة التى وصلت اليها بيزنطة هو انها على الرغم من انها امبراطورية بحرية ، إلا انها لم تكن تملك اسطولا بحريا حربيا قائما ، وانما كانت تكتفى بوحدات بحرية فى القواعد الكبيرة ، وفى حالة الحروب والتوسع البحرى فقط [٢٤] . واستمر الحال على ذلك حتى ظهور الاسطول الإسلامى فى البحر المتوسط والذى لم تعره بيزنطة أية أهمية ولم تغير نظام دفاعها البحرى . ذلك أن طبيعة العمليات البحرية الإسلامية كانت شبيهة بالعمليات التى كان يشنها اعداء الامبراطورية ضدها فى ذلك الحين [٢٥] ، خاصة وانها كانت فى ذلك الوقت تتمتع بقوة بحرية مكنتها من استعادت ميناء الاسكندرية سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م . إلا أن هذا النصر لم يستمر طويلا بسبب فشل الجيش البيزنطى فى السيطرة على بقية البلاد التى كان يسيطر عليها المسلمون [٢٦] .

ولقد أدت تلك الهزائم التى تعرضت لها الدولة البيزنطية إلى أن تضع نظاماً جديداً للدفاع عن الجزء الشرقى من الامبراطورية ، أما الجزء الغربى منها فكان يسوده

النظام القديم . ذلك انه كان بعيدا عن التهديد الإسلامى [٢٧] وقد اعتمد النظام الجديد الذى جاء مختلفاً تماماً عن النظام القديم ، على أسس دفاعية خالصة . وانتهت تلك المرحلة الأولى من النظام الدفاعى الجديد مع نهاية القرن السابع ومنذ بداية القرن ٨م / ٢هـ ، ذلك أن القيادات العسكرية الصرفه تحولت إلى دوائر اختصاص مدنية وعسكرية [٢٨] ولكنه بطبيعة الحال كان خاضعا لاشراف القسطنطينية ، وهو النظام الذى عرف باسم [٢٩] (Le Régime des Themes) وهكذا بدأ الصراع بين المسلمين وبيزنطة (فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى الثانى الهجرى) دوراً ، فبينما كانت بيزنطة قد نظمت دفاعها ، كانت الدولة الإسلامية تواجه إضطرابات داخلية فى الشرق . أما الدول الفتية فى مغرب العالم الإسلامى ، فقد استطاعت أن تشكل خطرا حقيقيا ضد الدولة البيزنطية منذ القرن التاسع الميلادى الثالث الهجرى مما أدى إلى اضطراب حدود الدولة البيزنطية الغربية وخاصة عندما سيطروا على جزيرة كريت [٣٠] .

أما عن صناعة السفن فى الدولة الإسلامية ، فقد كانت مصر تصنع السفن الحربية والتجارية لها وللدولة البيزنطية ، وذلك فى العصر البيزنطى . وكانت السفن الحربية تصنع على نوعين ، الكبير منها وتسع ألف رجل ، والصغير يتسع لمائة رجل ، وكان فى أمكان السفن المناورة السريعة .

أما السفن التى بنيت فى مصر بعد الفتح الاسلامى فكانت مجهزة بالمجانيق لقذف المواد الملتهبة وهى المواد التى قيل ان تجهيزها كان إلى القرن السابع الميلادى على الأقل سراً لبيزنطة فحسب . أما فى العصر الأموى فقد إعتمد المسلمون على دور صناعة مصر وكذا على تجارتها ، فقد كان كل العاملين فى دار الاسكندرية وكذا دار صناعة جزيرة الروضة ، وكذا المشتغلين بالبحر من أهل مصر الأقباط ، الذين شاركوا مشاركة فعلية فى المعارك البحرية الأولى التى خاضها المسلمون على سواحل مصر ، كما ساهموا مع جيش عبد الله بن سعد فى موقعة سبيطله التى حدثت [٣١] (سنة ٢٨هـ / سنة ٦٤٨م) .

كما أن الأسطول المصرى هو الذى نقل غنائم عبد الله بن سعد التى كان ينوء بها جيشه من طرابلس (الغرب) إلى الاسكندرية [٣٢] . كما غزا الأسطول المصرى

صقلية (سنة ٤٦هـ / سنة ٦٦٦م) فى الوقت الذى كان فيه معاوية بن حديج يفتح سوسة ، فقد ذكر البلاذرى نقلا عن الواقدى أن عبد الله بن قيس بن مخلد الأزرق ، وقيل الفزارى غزا صقلية . كذلك غزا الأسطول المصرى بقيادة عقبة بن نافع فى شتاء (سنة ٤٩هـ / سنة ٦٦٩م) الدولة البيزنطية [٣٣] .

وقد كان للمسلمين فى العصر الأموى ثلاثة أساطيل تعمل فى البحر المتوسط ، واحد لسوريا يحرس السواحل الشرقية للبحر المتوسط ، وأسطولين فى جنوب البحر المتوسط ، أسطول مصر وأسطول شمال افريقية ، على أن أقوى هذه الأساطيل ، هو الأسطول المصرى . ويضيف [٣٤] Bury فيقول ، ان قيادة هذه الأساطيل الثلاثة كانت للأسطول المصرى ، وذلك لكبر حجمه ، ولأن أمير البحرية المصرية هو القائد العام لهذه الأساطيل الثلاثة [٣٥] . ويقول [٣٦] جاستون فييت ان أسطول شمال افريقيا يكون مستقلاً فى بعض الأحيان عندما يكون الأسطول المصرى والسورى منشغلان فى عملية أخرى .

واذا كان موضوع بحثنا فى فن القتال البحرى يقتصر على العصر لوسيط ، إلا أننا نرى انه يجب على من يتصدى للتأريخ لفن القتال فى البحر المتوسط ، ان يذكر فى ايجاز المعارك البحرية التى سبقت العصر الوسيط حتى يتمكن من عقد مقارنة بين الفترتين والخروج منها بنتيجة محددة مؤكدة .

على أننا لا نود ان نذكر جميع المعارك البحرية السابقة على العصر الوسيط ، ولكننا سنكتفى فى هذا البحث بذكر المعارك التى كان لها أثر واضح فى تاريخ فن القتال البحرى فى العص الوسيط فى البحر المتوسط . ولعل أهم موقعة بحرية فى الصراع الاسلامى البيزنطى هى معركة ذات الصوارى البحرية [٣٧] (سنة ٣٥هـ / سنة ٦٥٥م) التى تعتبر حدا فاصلا فى تاريخ المتوسط ، ذلك ان الامبراطور قنسطانز (Constant) كان يرمى إلى تحطيم قوة المسلمين البحرية فى مهدها ، ولو أنه وفق فى ذلك لظلت سيادة البحر المتوسط أو حوضه الشرق على الأقل بيد البيزنطيين دون المسلمين . ويحدثنا المقريزى فى شىء من الاسهاب عن أحداث معركة ذات الصوارى فيقول : وكان من حديث هذه الغزوة ان عبد الله بن سعد لما نزل (ذو الصوارى) أنزل نصف الناس مع يسر بن أرطأه فى البر ، فلما

مضى أتى آت إلى عبد الله بن سعد فقال : «ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل (يعنى قنسطانز Constant) فى ألف مركب فافعله الساعة ، وكانت مراكب المسلمين مائتى مركب ونيفا» (٣٨) .

كما يحدثنا الطبرى (٣٩) عن سير المعركة فيقول : «بدأ القتال باستعمال الأقواس والسهام فأدرك (قسطانز) تفوق جنده عليهم ، لأن المسلمين يجيدون هذا السلاح فى الحروب البرية فقط ، وان ذخيرتهم سوف تنفذ ، واضطر المسلمون إلى استخدام الحجارة بعد ان نفذت أسهمهم ، وانه أخذ يراوغ ويماطل لانهاك قواهم . فربطوا سفنهم بعضها ببعض ، وقذفوا خطاطيف فى البحر ، جذبوا بها سفن الروم إليهم ، ثم اتخذوا من ظهور السفن المتلاحمة ميادين قتال أشبه بالميادين البرية .

ويضيف ابن عبد الحكيم (٤٠) فيقول : أراد الامبراطور (قنسطانز) نشر الفوضى بين المسلمين بأسر سفينة قيادتهم التى عليها عبد الله بن أبى سرح ، فأمر جنده بقدف خطاف علق بسفينة القيادة ، لولا شجاعة أحد الجنود العرب ، ويدعى علقمه فرمى بنفسه على السلاسل التى كانت تجذب سفينة القيادة العربية . وتمكن وهو تحت وابل سهام البيزنطيين من قطعها وأنقذ سفينة القيادة الاسلامية من الوقوع فى الأسر . ثم هاجم المسلمون سفينة القيادة البيزنطية ، وكادوا يأسرون الامبراطور قنسطانز ، لولا أنه تنكر باستبدال زيه مع ملابس إبن أحد ضاربى الطبول على سفينته وهرب من المعركة على ظهر مركب آخر فر به إلى صقلية (٤١) .

ويحدثنا ابن الأثير (٤٢) عن اشتراك معاوية بن أبى سفيان وإلى بلاد الشام فى ذلك الوقت فيقول : «فلما بلغه (أى معاوية) مقدم ابن هرقل ، خرج من الشام بأسطوله ، وانضمت وحداته إلى مراكب عبد الله بن سعد فقربا سفنهما وربطا بعضهما ببعض ولاقيا الروم جبهة واحدة ، فاقتتلوا بالسيف والخناجر وقتل عدد وفير من الفريقين المتحاربين إلى أن انهزم ابن هرقل جريحا ، ولم ينج من الروم الا الشديد» .

واضح من رواية ابن الأثير ، بالاضافة إلى انضمام معاوية باسطوله إلى اسطول عبد الله بن سعد ، أن المعركة تمت بربط السفن بعضها ببعض ، وان القتال كان قتالاً متلاحماً بالسيوف والخناجر . إلا أن ابن الأثير لم يأت بذكر تلك الريح

العاتية التى أودت بسفن الأسطول البيزنطى ، ولعل ابن الأثير أراد أن يجعل مجد وفخر الانتصار الاسلامى فى هذه المعركة كله للمسلمين وليس للعوامل الجوية دخل فيها . هذا فضلا عن أنه ذكر أن معاوية انضم باسطول الشام إلى اسطول عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، ومن ثم يصبح تعداد سفن المسلمين أكثر من ذى قبل ، أى أكثر من (٢٠١) سفينة ، وليس ببعيد ان يكون تعداد اسطول معاوية قريب من الاسطول المصرى ، وبهذا تكون نسبة المقارنة بين الاسطول البيزنطى والاسطول الإسلامى مقبولة ومعقولة ، ومن هذا المنطلق تمكن للأسطول الإسلامى الانتصار على خصمه البيزنطى .

وهكذا نرى أن الخبر الذى أورده المقريزى بأن عدد سفن البيزنطيين هو ألف سفينة مبالغ فيه ، بينما ذكر أن عدد سفن المسلمين (٢٠١) وبهذا تكون النسبة بين قوات المتحاربين (١ : ٥) وهى نسبة تتعدى حد الشجاعة والمقدرة الحربية ، خاصة وأن الذى حسم المعركة على عادة المعارك البحرية فى تلك الفترة التلاحم بالسيوف . وإذا أضفنا إلى هذه الملاحظة ، اختلاف الروايات فى ذكر عدد السفن فى المصادر الأخرى ، فقد قيل ان عدد السفن البيزنطية كانت (٧٠٠) سفينة ، وفى رواية أخرى (٥٠٠) سفينة لتبين لنا ما فى قول المقريزى من مبالغة . على أن مؤرخى الإسلام درجوا على أسلوب تضخيم قوة العدو ، وذلك لاظهار مدى شجاعة المسلمين .

ونود أن نشير هنا إلى ظاهرة انفرد بها المسلمون دون غيرهم من الشعوب غير العربية الا وهى اصطحاب المقاتلين لزوجاتهم فى المعارك البحرية . لقد كان معروفا فى الجاهلية وفى صدر الإسلام ، ان العرب يصطحبون النساء فى ساقة الجيش [٤٣] ليقمن بتمريض الجرحى وسقاية المقاتلين [٤٤] .

هذا فضلا عن بعث الحماس فى القتال ، وتفضيل الموت على الهزيمة ، ذلك ان الهزيمة مع وجود النساء معناه سبيهم هم وذراريهم وهو العار بعينه عند العرب [٤٥] . أما بالنسبة للمعارك البحرية فاننا نجد بعض الأمثلة على ركوب النساء البحر للقتال مثل أم حرام التى قتلت فى معركة بحرية فى جزيرة قبرص ، وبسيسة بنت حمزة

بن يشرح زوجة الأمير عبد الله بن سعد ، والتى يتحدث عنها المقريزى فيقول (إن الناس كانوا يغزون بنسائهم فى المراكب) [٤٦] .

ونود قبل أن نختتم (معركة ذات الصوارى البحرية) تلك المعركة الرائدة فى التاريخ البحرية الإسلامية . أن نذكر فى نقاط (التكتيكات) البحرية التى اتبعت من الطرفين ، (البيزنطى والإسلامى) وذلك على ضوء ما أورده القريزى فى كتابة السلوك .

يقول المقريزى [٤٧] : «تقابلت السفن الإسلامية والبيزنطية وتراشقوا بالنيل والنشاب ، وكان موقع ابن هرقل متأخرا وليس فى المقدمة» . ويعلل القريزى هذا التصرف من ابن هرقل انه عمل هذا حتى لا تصيبه الهزيمة . ويستمر المقريزى فى وصفه للمعركة فيقول : «أن اخبار القتال كانت تأتى ابن هرقل تباعا ، فقالوا أن القتال التراشق بالسهام ، فقال : هرقل غُلبت الروم ، ثم أتوه فقالوا : نفذ النبل والنشاب فهم يرمون بالحجارة ، فقال غُلبت الروم ، ثم أتوه فقالوا : نفذت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض ويقتتلون بالسيوف ، قال غُلبت الروم» [٤٨] .

نخلص من وصف المقريزى لموقعة (ذات الصوارى) البحرية بما يلى : —

أولا : أن هجوم أو تشكيل سفن البيزنطيين على نسقين وليس على نسق واحد وهو ما فسره المقريزى على أن ابن هرقل كان متخوفاً من الهزيمة ، فرجع إلى الخلف ولم يكن فى المواجهة . وفى رأينا أن هذا بعيد عن الحقيقة ، بل الأقرب إلى العقل والمنطق ، أن (أى ابن هرقل) عندما رأى انه متفوقا فى العدد والعده شعر وقتئذ بالفخر وانه على وشك النصر المؤزر . ثم أن رجوع القائد البيزنطى (ابن هرقل) إلى الخلف كان الغرض منه الاشراف على المعركة فاتخذ موضع سفينته ، وهى سفينة القيادة فى النسق الثانى (أو احتياطى الأسطول البيزنطى ، وهذا الاسلوب ظل متبعا فى تشكيل القتال من نسق واحتياطى حتى القرن السادس عشر [٤٩] . (انظر شكل رقم ١٠) .

ثانيا : كما اننا لا ندرى لماذا أصر القريزى على تكرار قوله (لقد غُلبت الروم) على لسان القائد البيزنطى حتى فى المراحل الأولى من المعركة ، والتى لم يكن قد تحدد بعد من هو المهزوم ومن المنتصر . والذى نعلله فى هذا المقام أن المقريزى

أراد أن يبين مدى مهارة المسلمين فى الرماية وضعف البيزنطيين فيها برغم كثرتهم العديه . ثم ساق لنا فى روايته ، ان النبل قد نفذ منهم وأخذوا يرمون بالحجارة [٥٠] ، ومعنى هذا انهم فشلوا فى قتل اكبر عدد من المسلمين بما لديهم من نبل برغم كثرتهم العددية — — الخ .

ثالثا : ويحدثنا المقريزى [٥١] عن القتال المتلاحم بتشابك سفن الخصمين بالسلاسل وقيامهم بالقتال بالسيوف فيقول :

«وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف . وكانت السفن اذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال ، فقرن مركب عبد الله بن سعد وهو أمير المسلمين فى المعركة ، بمركب من مراكب العدو ، فكان مركب العدو يجر مركب عبد الله فقام علقمة بن يزيد القطيفى ، وكان عبد الله بن سعد فى المركب ، فضرب السلسلة بسيفه فقطعها [٥٢] (انظر لوحة رقم (١)) .

ويتبين من المصادر العربية ان التفوق العديدى فى معركة ذات الصوارى البحرية [٥٣] ، كان إلى جانب البيزنطيين الأمر الذى جعل المسلمين يلجأون إلى تكتيك مستحدث وذلك بربط سفن الاسطول الاسلامى بعضها ببعض بالسلاسل . ولعلهم قصدوا بهذا الأسلوب محاولة درأ خطر الريح العاتية التى تزامنت مع وقت المعركة ، ومواجهة الاسطول البيزنطى صاحب الخبرة الكبيرة فى وضع قريب إلى حد كبير بالمعارك البرية ، رغم المشاق التى اضافها ضيق حيز السفن .

على أن هذا التكتيك الذى انتهجه المسلمون فى هذه المعركة يدل بصفة عامة على قلة خبرتهم البحرية ، ولولا هبوب تلك الريح العاتية التى أثرت تأثيرا بينا فى تشكيل الاسطول البيزنطى وحركته ، لاختلف الحال ، لكن الله سلم . وكان يمكن للاسطول الاسلامى لو توفرت لديه الخبرة أن يركز جهده الرئيسى فى منطقة بعينها من تشكيل الاسطول البيزنطى لاختراقها ، وبالتالى يشطر الأسطول البيزنطى إلى قسمين فيسهل تطويقه والقضاء عليه .

ولولا افتقار المسلمين إلى الخبرة القتالية البحرية لنهجوا المنهج الذى اتبعه الرومان فى معركة (ميونسوس أو تيوس) (Myonnesus أو Teos) . فقد كانت معركة

(ميونسوس) آخر المعارك التى خاضها الرومان ضد انتيخوس الثالث ملك سوريا سنة ١٩٠م (أنظر شكل ١١) والتى أعطت الرومان سلطة بغير منازع فى بحر إيجه (Aegean Sea) [illegible] .

لقد كانت سفن الرومان عند بداية المعركة على هيئة صف واحد وكانت أقواس الجند الرومان مصوبة نحو البحر ، وقائد الاسطول الرومانى فى آخر الطرف الأيمن ، وكانت السفن الرودسية على الجانب الأيمن للسفن الرومانية . أما السفن السورية فكانت فى تشكيل الصف الواحد ، لكنه كان أطول بكثير من الاسطول الرومانى ، وكان عدد السفن السورية (٨٠) سفينة ، بينما كان عدد السفن الرومانية (٥٨) سفينة ، وقد حاول القائد السورى جاهدا تطويق الجناح الأيمن للاسطول الرومانى ، الا أن قائد السفن الرودسية (ايوداماس) (Eudamas) تنبه إلى محاولات القائد السورى (بوليكيندااس) (Polyxenidas) فتقدم على وجه السرعة باثنين وعشرين من سفنه ، وأحاط بجزء من الاسطول السورى . وهكذا استطاع ان يمنع الاسطول السورى من أن يطوق الاسطول الرومانى ، كما استطاع ان يهاجم سفن مقدمة الاسطول السورى ، بينما اقتحم الرومان وسط الأسطول السورى . وبذلك تمكن الاسطول الرومانى من الإحاطة بالاسطول السورى من جانبه وشطره إلى قسمين ، وبذلك فقد السوريون (٤٢) سفينة كما أسر الرومان (١٣) سفينة أخرى . أما باقى السفن فقد حرق بعضه وغرق البعض الآخر . ونتيجة لهذه الكارثة غير المتوقعة انسحب (بوليكيندااس) مسرعا بما تبقى من سفن الاسطول السورى التى كانت فى آخر تشكيل الصف ولم يتح لها الاشتراك فى المعركة .

أما عن نتائج معركة (ذات الصوارى) فانه مما لاشك فيه ، ان انتصار الاسطول المصرى الاسلامى فى هذه الموقعة البحرية الكبرى ، سواء أكان هذا الانتصار بسبب هبوب الرياح أو غير ذلك من الاسباب ، فانه مما لاشك فيه ، ان انتصار المسلمين فى موقعة (ذات الصوارى البحرية) كان تدعيما قويا للسيادة العربية على شواطىء شرق البحر المتوسط .

على ان البيزنطيين لم ينسوا هزيمتهم المنكرة والحاسمة فى موقعة (ذات الصوارى) لذلك وجدوا الفرصة سانحة بانشغال معاوية بالمطالبة منذ (سنة ٣٥هـ / سنة

٦٥٥م) بدم عثمان بن عفان ، ومنازعة على بن أبى طالب فى الاستيلاء على الخلافة ، فشنوا هجوما بحريا عاتيا على سواحل بلاد الشام وذلك فى (سنة ٤٩هـ / سنة ٦٦٩م) (٥٥) . وبرغم عدم نجاح البيزنطيين فى الاستيلاء على أى ميناء من موانى بلاد الشام ، الا انه يبدو أنهم كبدوا المسلمين خسائر كبيرة الأمر الذى حمل معاوية على إقامة دار لصناعة الاسطول فى عكا بدلا من الاعتماد على دار صناعة مصر وحدها . وقد ظلت عكا دار الصناعة فى بلاد الشام إلى أن نقلت فى زمن بنى مروان إلى مدينة صور (٥٦) .

وكان طبيعيا ان يرد معاوية على غزوة البيزنطيين لبلاد الشام ، ففى (سنة ٥٥٣ / سنة ٦٧٢م) (٥٧) خرج الأسطول الاسلامى بقيادة عبر الرحمن بن خالد فى طريقه لغزو القسطنطينية وكان ذلك فى فصل الشتاء مما اضطر الأسطول للرسو على شواطىء قيليقية اتقاءً للرياح الباردة والأمواج العاتية (٥٨) . ولم يكد يحل فصل الربيع حتى اجتاز الأسطول الاسلامى مضيق الدردنيل دون أن يلقى مقاومة واستولى على جزيرة (قزيفوس) (٥٩) ، فى مياه القسطنطينية واتخاذها قاعدة اسلامية (٦٠) . ثم أخذ الأسطول الاسلامى يحاصر القسطنطينية وأسوارها براً وذلك فى المنطقة الممتدة من رأس هبدومون (Hebdomon) التى تبعد (٧ أميال) عن أسوار القسطنطينية وبين رأس كيكليبوس (Kyklobios) الواقعة بالقرب من أحد أبواب القسطنطينية المعروف بباب الذهب (٦١) .

واستمر الحصار البرى من شهر ابريل حتى شهر سبتمبر ، حيث حدثت فى هذه الأثناء مناوشات ، فكانت سفن الروم والعرب تتصادم من الصباح حتى المساء ، على حين تتراشق القوات البرية بالسهام والقذائف . وظلت هذه المناوشات بين الفريقين (كما تجمع على ذلك المراجع الأجنبية) حتى شهر سبتمبر حيث حل فصل الشتاء ، فرفع المسلمون الحصار عن القسطنطينية و اتجه الأسطول إلى جزيرة (قزيفوس) أرادوا (٦٢) .

ان الوصف السابق للحصار والمعارك اليومية التى دارت بين الفريقين والتى ردتها جيمع المصادر الأجنبية غير مقنعة ولا يمكن التسليم بصحتها ، فهى لم تذكر على الاطلاق الصورة التى كانت عليها المناوشات البحرية ، ولعل هذه المناوشات البحرية

كانت فى محاولات السفن البيزنطية اختراق الحصار البحرى أو فى رمى القوات البرية البيزنطية للأسطول الاسلامى . وفى هذه الحالة لا بد لهم من استعمال المناجيق وفى أضيق الحدود ، ذلك لانه لا يمكن استعمال المناجيق إلا اذا دخلت احدى السفن الاسلامية فى مدى الرمية .

وعلى أية حال ، فان المصادر تذكر ان الخطة السالف الاشارة إليها استمرت سبع سنوات فى حصار القسطنطينية ، قام فيها الأسطول الاسلامى بنقل الجند إلى أسوار المدينة بمطلع الربيع ، ثم يكمل الحصار من البحر ، ثم يعود فينقل الجند شتاء إلى جزيرة أرادوا انتظارا لمقدم الربيع التالى وهكذا [٦٣] .

هذا ويجب ان نشير هنا إلى ظهور (النار الإغريقية) فى ذلك الوقت ، والتى استعملها البيزنطيون ضد الأسطول الاسلامى ، والتى يرجع الفضل إليها فى فشل الحصار البحرى ، ذلك ان المسلمين لم يجدوا (للنار الإغريقية) إتقاءً . على ان معاوية أراد معالجة خسائر الأسطول الاسلامى المحاصر للقسطنطينية فأوفد أسطولا آخر بقيادة سفيان بن عوف [٦٤] .

وبعد سبع سنوات من أعمال الحصار البحرى فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وعندما شعر معاوية بدنو أجله رأى ان يسحب قواته البحرية والبرية ، فدخل فى مفاوضات صلح مع البيزنطيين ، وعقد صلح بين الطرفين لمدة ثلاثين عاما ، وهكذا عاد الأسطول الإسلامى وكذا القوات البرية إلى بلاد الشام [٦٥] .

على انه لم تكد تنتهى مدة الهدنة المتفق عليها بين الطرفين ، وهى (الثلاثون عاما) حتى بدأت المناوشات تظهر من جديد فقد بدأت جماعات (المرده) تهدد قواعد الأسطول الإسلامى فى بلاد الشام ، الأمر الذى جعل الخليفة عبد الملك بن مروان يتفق مع الامبراطور البيزنطى جستينيان الثانى على نقل (المرده) من جبل اللطام إلى داخل أراضى الروم مقابل دفع مبلغ (١٠٠٠) دينار سنويا . فنقل جستنيان (١٢٫٠٠٠) من المرده إلى رومانيا وبعض آخر إلى تراقيا وفريق ثالث تبعثر فى آسيا الصغرى [٦٦] .

على أن هذه الهدنة لم تستمر طويلا ، ذلك انه عندما علم البيزنطيون بأن الدولة الأموية قد عقدت العزم على غزو القسطنطينية بحراً ، جعلوا شواطىء آسيا الصغرى والجزر القريبة منها اقليما بحريا حربيا ، ترسو فى قواعده سفن حربية على أهبة الاستعداد للقتال [٦٧] . كما وضعوا فى جهات بحرة مرمرة المواجهة للقسطنطينية قوات بحرية تساعد أسطول العاصمة على الدفاع . كما أعطى أمير البحار على القسطنطينية سلطات واسعة تخول له تنظيم وسائل التعاون بين أسطول شواطىء آسيا الصغرى وأسطول بحر مرمرة [٦٨] .

وفعلا ما قدرته القسطنطينية كان ، فقد وصلت جيوش برية إسلامية بقيادة مسلمه بن عبد الملك أسوار القسطنطينية (سنة ٩٧هـ / سنة ٧١٦م) . وفى أول سبتمبر (سنة ٩٨هـ / سنة ٧١٧م) دخل الأسطول الإسلامى مياه البسفور وكان عدد سفنه (١٨٠٠) سفينة حربية وذلك عدا السفن الصغيرة [٦٩] . واحتل الأسطول الإسلامى مدخل البسفور الجنوبى وذلك بغرض قطع الاتصال بين القسطنطينية وبحر مرمرة الذى يعد مصدر تموين العاصمة من الجنوب . كذلك انتهز أمير البحر سليمان هبوب رياح جنوبية مواتية فبعث جزءاً من أسطوله لاحتلال مدخل البسفور الشمالى لمنع وصول أى امدادات تأتى من البحر الأسود ، خاصة وان شواطىء هذا البحر الشمالية كانت غنية بحقول القمح الذى تزود به القسطنطينية [٧٠] .

على أن هذه الغزوة التى قام بها الأسطول الإسلامى قد باءت بالفشل لأسباب عدة فقد صادفت الأسطول الإسلامى عقبات كثيرة حالت دون تنفيذ الخطة ، وهى شدة التيار المائى الذى يتدفق من البحر الأسود إلى بحر مرمرة ، هذا فضلا عن التغير الذى طرأ على الرياح الجنوبية ، مما أدى إلى اختلال سير السفن . وكان طبيعيا أن ينتهز البيزنطيون هذه الفرصة المواتية فاستغلوها أحسن استغلال فاستخدموا سفنهم المزودة بالنار الاغريقية [٧١] .

على أن المسلمين لم يقفوا مكتوفى الأيدى أمام هذه النيران ، بل عمدوا إلى استخدام النفط لاول مرة فى حروبهم البحرية [٧٢] ، كما استعانوا بالمناجيق الشبيهة بالمدفعية ، ولكن ذلك لم يجدى أمام النار الاغريقية ففشل الحصار البحرى

الإسلامى وظل الحصار البرى قرابة (١٢) شهرا ، حتى طلب منهم الخليفة عمر بن عبد العزيز (سنة ١٠٠هـ / سنة ٧١٨م) فك الحصار والعودة إلى بلاد الشام [٧٣] .

على أن تطلع الدولة الأموية لم يكن قاصرا بالنسبة للدولة البيزنطية على الاستيلاء على القسطنطينية ، بل تطلعوا إلى الاستيلاء على جزيرة قبرص منذ خلافة معاوية بن ابى سفيان وحتى عهد عبد الملك بن مروان . مما أدى إلى قيام صراع بينهم وبين البيزنطيين حول هذه الجزيرة [٧٤] . فقد ركز الامبراطور البيزنطى تيبريوس الثالث (سنة ٩٨هـ / سنة ٧٠٥م) اهتمامه باعادة تكوين الحاميات المدافعة عن الجزيرة ضد الأسطول الأموى فى البحر المتوسط [٧٥] .

على أنه يبدو واضحا أن الأعمال البحرية بين المسلمين والبيزنطيين فى شرق البحر المتوسط لم تتعد كونها غارات خاطفة بين الطرفين وخاصة على مصر وقبرص باعتبارهما هدفين رئسيين فى الصراع بين هاتين القوتين (المسلمون والروم) [٧٦] . ولهذا لم ينتج عن الحملات الأموية فى شرق البحر المتوسط أحتلال دائم ، أو فتح لجزيرة قبرص وجزيرة رودس ، بينما كان الوضع على غير هذا النحو فى غرب البحر المتوسط [٧٧] .

وقد انتهى الصراع البحرى بين الأمويين والبيزنطيين فى شرق البحر المتوسط (سنة ١٢٩هـ - ١٣٠هـ /سنة ٧٤٧ - سنة ٧٤٨م) بمعركة بحرية فاصلة نشبت بين الطرفين فى أواخر عام (سنة ١٢٩ / سنة ٧٤٧م) على مقربة من جزيرة قبرص حسمت الصراع بين القوتين الإسلامية والبيزنطية ، اذ حاصر أسطول جزيرة كريت البيزنطى أسطول الدولة الأموية وأوقع به الهزيمة (سنة ١٢٩هـ / سنة ٧٤٧م) . وبرغم عدم علمنا تفاصيل هذه المعركة البحرية فقد كان لانتصار الدولة البيزنطية البحرى أثره الكبير ذلك أنه وضع نهاية للصراع البحرى الطويل بين البيزنطيين والمسلمين مدة قرن من الزمان ظلت خلاله البحرية الإسلامية عاجزه عن القيام بحملات أو اغارات على جزر البحر المتوسط وبلدانه البيزنطية [٧٨] . ومن ثم فإننا نستطيع القول بأن هزيمة الأمويين (سنة ١٢٩هـ / سنة ٧٤٧م) أدت إلى فشل كل جهودهم وضياع نتائجها فى الحوض الشرق للبحر المتوسط [٧٩] .

وقد يكون من المفيد ونحن بصدد الحديث عن فن القتال فى البحر المتوسط ان نذكر شيئا عن الاستحكامات الساحلية فى شرق البحر المتوسط . ولعل من أهم موانى بلاد الشام ميناء طرابلس [٨٠] الذى يقع على الساحل الشرقى للبحر المتوسط لمناعتها بسبب وجود سلسلة من الصخور المرجانية [٨١] . وقد كان طبيعيا ان يحاول معاوية بن أبى سفيان منذ توليه الخلافة أن يوجه إلى طرابلس حملة للاستيلاء عليها بقيادة سفيان بن مجيب الأزدى الذى وضع خطة محكمة للاستيلاء عليها تتفق وافتقار العرب إلى أسطول بحرى ، فى ذلك الوقت وكانت تلك الخطة تهدف إلى تضييق الحصار على طرابلس برا ومحاولة منع وصول الامداد اليها من سفن الروم ، فبنى القائد الأموى حصنا يقع على بعد عدة أميال من طرابلس وضيق على أهلها الخناق واستولى على المدينة [٨٢] .

ومن موانى بلاد الشام الهامة كذلك قيساريه التى استعصت على عمرو بن العاص ، فلما عين معاوية بن أبى سفيان واليا على بلاد الشام ظل محاصرا لهذه المدينة التى كانت تتلقى الامدادات وآلات الدفاع من الروم عن طريق الأسطول البيزنطى ، وبذلك تمكنت قيساريه من صد هجمات العرب المتتابعة التى استمرت لعدة سنوات حتى تمكن معاوية من اقتحامها (سنة ١٩هـ / ٦٤٠م) بعد أن دله يهودى اسمه (يوسف) على الطريق الذى يمكن مهاجمة المدينة منه [٨٣] .

على أن الفتوحات البحرية للدولة الأموية لم تقتصر على شرق البحر المتوسط فحسب بل أمتدت إلى غربه ووسطه . وقد اتخذت الدولة الأموية فى فتوحاتها فى الغرب نفس الاسلوب الذى سلكته فى شرق هذا البحر [٨٤] ، ذلك ان احداث الفتح الاسلامى لشمالى أفريقية يعد فتح مصر ، حملت المسلمين على بناء اسطول لهم فى مياة المغرب [٨٥] ، ليسهم فى اتمام مشاريعهم البحرية وتأمين فتوحاتهم [٨٦] .

وقد تجلى نشاط البحرية الإسلامية فى العصر الأموى فى شمال افريقية ضد جزيرة صقلية فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وحتى خلافة الوليد بن عبد الملك [٨٧] ، على أنه لم تحدث محاولة بحرية جرئية ذات بال ضد هذه الجزيرة فى العصر الأموى [٨٨] ، وان كان الأسطول الأموى قد خطا خطوات سريعة فى غرب البحر المتوسط ، تقارب ما قام فى شرقه [٨٩] . فقد أراد موسى بن نصير أن يصل إلى القسطنطينية من الأندلس بحراً ، معتمداً فى ذلك على ما لديه من وحدات بحرية

[90] ، تعد قوام الأسطول الإسلامى الأموى فى غرب البحر المتوسط ، والذى انشئت مراكبه فى دار الصناعة فى مدينة ترشيش الجديدة (تونس الحالية) [91] .

على أن أخطر العمليات الحربية التى قام بها أسطول شمال أفريقية فى العصر الأموى (سنة ١٢٢هـ / سنة ٧٤٠م) كانت موجهة لفتح جزيرة صقلية . وقد استطاع المسلمون فى هذه الحملة التوغل فى الجزيرة فنهبوا مدينة سرقوسة (Syracuse) [92] . ولم ينقذ صقلية من غزو المسلمين لها آنذاك غير وثوب البربر ضد العرب بشمال افريقية ، الأمر الذى اضطر المسلمين إلى العدول عن فتح الجزيرة [93] . فقد أقتصر دور البحرية الإسلامية فى هذه الحملة على النقل البحرى وتأمينهم أثناء الابحار والنزول على الشاطىء .

ومنذ ذلك التاريخ (سنة ١٢٢هـ / سنة ٧٤٠م) لم تتعرض صقلية لأية حملة بحرية إسلامية إلا فى (سنة ١٣٥هـ / سنة ٧٥٢ - ٧٥٣م) حين هاجمها عبد الرحمن بن حبيبة عامل أفريقية وقت ذاك [94] .

وقد يكون من المفيد ونحن بصدد الحديث عن الغزو الأموى لوسط وغرب حوض البحر المتوسط ، أن نذكر ما ساهم به الأسطول المصرى فى هذا الغزو . لقد كان الأسطول الاسلامى يتألف بوجه خاص من مراكب مصرية اشتركت فى عمليات برمائية ضد البيزنطيين وذلك فى ولاية حسان بن النعمان ، وقد أحرز هذا الأسطول انتصارا ساحقا فى مياه قرطاجنة على الأسطول البيزنطى بقيادة البطريق (جان) أعظم قواد (ليوتينوس) [95] ، وكان هذا الأسطول قد نزل على الساحل الأفريقى [96] فى (سنة ٧٩هـ / سنة ٦٩٨م) . وقد فر معظم من كان من الروم فى مراكبهم إلى صقلية ، فى حين تعرض من بقى منهم فيها لسيوف المسلمين [97] .

كذلك ساهم الأسطول المصرى فى غزو جزيرة سردينيا ، وذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان [98] .

والذى يجدر الاشارة إليه بداية ، التركيز البيزنطى على مدينة دمياط دون الأسكندرية ، واستمراره حتى الحملة الصليبية الخامسة على مصر (سنة ٦١٥هـ / سنة ١٢١٨م) . فقد حدث فى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك أن هاجم

البيزنطيون مدينة دمياط سنة (٩٠هـ / سنة ٧٠٨م) بحرا وتمكنوا من النزول بها فأسروا قائد بحريتها (خالد بن كيسان) وساقوه إلى الامبراطور ، الذى أعاده إلى الخليفة عملا بالهدنة المبرمة بينهما . وفى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك عاود البيزنطيون الهجوم على دمياط (سنة ١٢١هـ / سنة ٧٢٨م) وكانت عدة أسطولهم ثلثمائة ، وستين مركبا فاحدثوا مقتلة فى دمياط فضلا عن قبضهم على عدد من الأسرى [٩٩] . وكانت وظيفة الأسطول البيزنطى فى هجماته المتعددة على دمياط هى النقل البحرى المؤمن فقط والدور الرئيسى كان للقوات البرية المحمولة بحراً .

أما عن السبب فى غزو دمياط رغم الهدنة بين البيزنطيين والمسلمين ، فلعل مرده هو انتهاز الدولة البيزنطية حالة الضعف التى وصلت إليها الدولة الأموية فى آخر أيانها . ولعل استمرار البيزنطية فى الهجوم على مصر ممثلة فى ميناء دمياط فى عهد الدولة العباسية هو رغبتهم فى الافادة من الاضطراب الذى إنتاب الدولة العباسية أثناء النزاع بين الأمين والمأمون ، فسارع البيزنطيون باستغلال هذا الضعف وخاصة فى ولاية مصر وهجموا على ميناء دمياط التى أضحت محور هجماتهم على مصر .

وقد يكون من الأسباب العسكرية التى من أجلها غير البيزنطيون اتجاه هجومهم البحرى من الاسكندرية إلى دمياط قلة التجمع البشرى الموجود فى دمياط وضعف تحصيناتها . فضلا عن وقوع دمياط عند مصب فرع دمياط مما يتيح القوة البحرية المهاجمة الوصول إلى حاضرة مصر عن طريق فرع دمياط باستخدام سفن الأسطول كما حدث ابان الحملة الصليبية الخامسة على مصر سنة ٦١٥هـ / سنة ١٢١٨م . وفى حالة فشل القوة المهاجمة فى الاستيلاء على دمياط يمكنها إعادة تنظيم صفوفها على الضفة الغربية من فرع لفرع دمياط قبالة مدينة دمياط وبهذا يمكنها الاستفادة من هذا المانع المائى لتأمين عملية إعادة التنظيم .

وقد أدى الهجوم المتكرر على ميناء دمياط إلى الاهتمام بالأسطول الإسلامى وخاصة بعد الهجوم الذى قام به الأسطول البيزنطى لدمياط بقيادة (ابن قطون) وذلك سنة ٢٣٨هـ / سنة ٨٥٢م . ومن هذه الواقعة جرى الاهتمام بالأسطول المصرى كما أنشئت الشوانى برسم الأسطول [١٠٠] . على أن أهم ما اتخذ من

اجراءات هو التسوية فى الأرزاق بين غزاة البحر وغزاة البر ، كما أصبح لا ينزل فى رجال الأسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب ، وأضحى لخدام الأسطول حرمة ومكانة وسعى الناس إلى الخدمة فى الأسطول (١٠١) .

نخلص مما تقدم أنه حدث ثمة تغير فى وظيفة الأسطول فلم يقتصر عمله على وسائل الابحار والاقلاع بالسفن وأسلوب رسوها ، وانما تعدى ذلك إلى حذق فنون القتال والرماية . على ان هذا التخصص الجديد فى حصر وظيفة القتال البحرى على رجال الاسطول يعد بحق خطوة لها خطورتها نحو تقدم الأسطول المصرى ، ذلك ان فنون القتال المتلاحم ، وان كانت لا تختلف فى البر عن ما يجرى فوق السفن عند تشابكها ، إلا ان القتال البحرى المتلاحم يحتاج إلى دراية ، ذلك انه يدور فى حيز ضيق فلا يترك للمقاتل فرصة للمناورة يمنه ويسره فالاجساد تتراص وتتقاتل فى نفس الوقت .

أما عن طبيعة فن قتال القوات المحمولة بحرا ، فى أوائل العصر الإسلامى ، فان أدق فتراتها هى تلك الفترة التى يستغرقها الجند فى النزول من السفن والوصول إلى الشاطىء أو اعتلاء أسوار الحصون لانهم يكونون تحت طائلة الرمى المكثف من القوات المدافعة فوق الحصون والأسوار . أما عن نزول هذه القوات من السفن إلى أسوار الحصون فى هذه الفترة ، فهى تبدأ بقيام آلات الرمى بقذف هذه الأسوار عند وصولها إلى المدى المؤثر لهذه الآلات وذلك تمهيدا النزول للجنود . وكانت تحمل الأبراج العالية فى سفن القتال وعند بلوغهم إلى البعد المناسب من الحصن أو السور يقيمون قنطرة من الألواح على الفضاء القليل الذى يفصل بين السفينة والبرج والسور أو الحصن ، ويعبر الجند عليها إلى متون هذه الحصور والأسوار . على ان الغرض من هذه الأبراج العالية هو لتسهيل مهمة بلوغ الجند إلى المنافد العالية وقمة الأسوار ، فيجتمع الجند فى هذه الأبراج يعبرون منها إلى السور أو بواسطة القناطر الخشبية السابق الاشارة إليها .

أما عن محاربة العدو على ظهر السفينة فهو من ابتكار روما حينما اصطدمت مع قرطاجنة (سنة ٢٦٠ م) ، فقد تخلى الرومان فى هذه المعارك عن طريق دق أو قطم مجاذيف الأعداء والاستعاضة عن ذلك باتخاذ نوع من الكبارى الطويلة التى

سميت باسم (Corvus) القابلة للرفع ، تشدها بكرة إلى سارية المركب وبنهايتها خطاطيف ثبتت بواسطتها فى سفن الأعداء حين تقترب منها ثم ينتقل الجند عليها إلى العدو [١٠٢] .

وقد اتبع المسلمون هذا الأسلوب منذ بداية تمرسهم فى هذا المجال ، فقد عمدت سفنهم الحربية إلى الاقتراب من مراكب الاعداء ، وجذبها إليها بواسطة الكلاليب ، ثم وضع ألواح بين جوانب السفن أشبه بالجسر [١٠٣] ، بحيث تمكن جنود المسلمين من الانتقال إلى العدو ومحاربته وجها لوجه ، على نحو ما حدث فى موقعة (ذات الصوارى) [١٠٤] .

أما عن التشكيل الذى اتبعته الأساطيل الإسلامية فكان يتكون من قلب وجناحين ومقدمه وساقه أشبه بالجيش البرى ، وتصطف السفن أما على هيئة نصف دائرة ، حتى اذا حاول العدو الاقتراب منها احاطت به وحطمته . وفى بعض الأحيان كانت سفن الأسطول تقف صفوفا مستقيمة لتنطح مراكب العدو (باللجام) وتغرقها [١٠٥] . (انظر الشكل رقم ١٢) .

واذا انتقلنا إلى العصر العباسى وخاصة فى القرن الثالث للهجرة التاسع للميلاد عندما ضعفت سلطة الخلافة [١٠٦] ، وانصراف الدولة لحل مشاكلها الداخلية والاقليمية وكذا المشاكل الخارجية ، كما انصرفت الدولة البيزنطية لفتنها الداخلية ، نجد ان السيطرة البحرية انتقلت إلى العالم الإسلامى فى المغرب وسيطرت البحرية على جزر البحر المتوسط ، الأوسط والغربى . ففى (سنة ٢١٢هـ / سنة ٨٢٧ م) تمكن الأندلسيون من الاستيلاء على جزيرة افريطش (كريت) بانزال بحرى موفق انتهى بالاستيلاء على الجزيرة .

كماتمكن أسطول الأغالبة من القيام بعملية انزال بحرى واسعة النطاق على جزيرة صقلية للاستيلاء عليها ، وقد تسنى لهم هذا ، لضعف أسطول صقلية البيزنطى ، ولأن قائده (أيوفيميوس) أسلمه للأغالبة بعد ثورة فاشلة [١٠٧] . وقد بلغت عدة أسطول الأغالبة الذى أبحر من سوسة بالاضافة إلى سفن (ايوفيميوس) من سبعين إلى مائة سفينة ملئت بعدة آلاف من الرجال [١٠٨] .

وبنزول الأغالبة إلى جزيرة صقلية انتهت فترة السيادة البحرية البيزنطية على البحر المتوسط ، وانتقم المسلمون لهزيمتهم البحرية بالقرب من جزيرة قبرص سنة ١٣٠هـ / سنة ٧٤٧م [١٠٩] . وفى (سنة ٢٣٤هـ / سنة ٨٤٨م) استولى الأمير الأموى (الغزلى) عبد الرحمن الأوسط على جزيرة ميورقة ، وفى (سنة ٢٥٥هـ / سنة ٨٦٨م) اقتحمت مالطة فى إمارة (أبى الفرانيق محمد أحمد بن الاغلب) [١١٠] . وهكذا أصبح المسلمون فى غرب العالم الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى السادة الحقيقيين للبحر المتوسط ، وورثة البيزنطيين فى السيطرة فى الملاحة فيه .

ورغم محاولة البيزنطيين فى استرداد جزيرة كريت (افريطش) بعد استيلاء المسلمين عليها بعام إلا أن المسلمين استطاعوا هزيمتهم وردهم عنها بعد أن قبضوا على قائد البيزنطيين وقتله [١١١] . ومنذ الهزيمة الثانية ، فقد الأمبراطور ميشيل الأمل نهائيا فى استرجاع الجزيرة وان لم يفقد الأمل فى استرداد بعض الجزر الصغيرة المتناثرة إلى الشرق وإلى الشمال الشرقى من كريت (اقريطش) ، كما قام بتركيز كل قواه للدفاع عن صقلية التى استولى عليها الأغالبة فى (سنة ٢٣٤هـ / سنة ٨٤٨م) .

على أنه سرعان ما استعادت البحرية البيزنطية نشاطها وظهرت سيطرتها على بحر ايجة وذلك فى عهد الأمبراطور باسيل الأول ، ففى (سنة ٢٦٦هـ / سنة ٨٧٩م) تمكن الأسطول البيزنطى بقيادة أمير البحر (نيكتياس أريفا) من تحطيم أسطول من اساطيل المسلمين باقريطش فى خليج كورنته ، وقد أدى ذلك إلى وقف النشاط البحرى الإسلامى فى هذه المنطقة لمدة عشرين [١١٢] سنة . وبرغم ما لهذه المعركة البحرية من أثر فى تاريخ البحرية الإسلامية فى العصر العباسى إلا أن المصادر لم تأتى بتفاصيل هذه المعركة البحرية الحاسمة .

ولعل أقوى ضربة وجهها المسلمون فى اقريطش هجومهم على سالونيك بقيادة (ليو الطرابلسى) وحققوا فى هذه الغزوه نجاحا عظيما ، مما أثار بيزنطة ، فحاولت عدة مرات أخرى الاستيلاء على اقريطش (كريت) ، حتى تمكن رومانوس ليكابنيوس (سنة ٩١٩ – سنة ٩٤٤م) من الانتصار على أسطول ليو الطرابلسى (سنة ٣١٢هـ / سنة ٩٢٤م) وتحرير منطقة بحر إيجة من هجمات المسلمين . وفى عهد الامبراطور رومانوس الثانى (سنة ٩٥٩ – سنة ٩٦٣م) ارسل اسطولا لم يشهد

البحر المتوسط أسطولا بهذا الحجم [١١٣] من قبل وأخذوا المسلمين على حين غرة فى جزيرة اقريطش (كريت) وكان ذلك فى (سنة ٣٥٠ / سنة ٩٦١م) ونجد استولوا على الجزيرة وقتلوا أميرها ومن معه من الجنود [١١٤] ، بعد أن استولوا على خندق الجزيرة معقل المسلمين المنيع ، وتساقط بعده بقية معاقل الجزيرة الأخرى [١١٥] .

وكان طبيعيا أن تحصن الدولة الإسلامية فى الغرب مراسيها ، فقد حصنوا مرسى تونس الذى يقع فى وسط خليج خارج عن البحر على نحو بحيرة مختصرة والذى يعد من أهم مراسى افريقية [١١٦] وكذا مرسى سوسة الذى يقع على الساحل الجنوبى الشرقى من تونس [١١٧] ، ومرسى المهدية فريضة القيروان والذى يقع شرق سوسة [١١٨] ، ومرسى صفاقس ويقع إلى الشرق من المهدية [١١٩] . كما كان لمدينة (بونة) مرسى حسن تخرج منه الشوانى غازية إلى بلاد الروم وسردينيا وقرشقة وما والاها [١٢٠] .

أما مراسى المغرب الأوسط ، فهى بجاية ، ومرسى فروخ فرضة تاهرت ، ومرسى الدجاج وكانتا مقصد الأساطيل الاندلسية بوجه خاص . ومرسى وهدان ومرسى هنين وكانتا فرحتى تلمسان [١٢١] ، ومرسى تسن التى أنشأها البحريون من أهل الأندلس [١٢٢] . أما مراسى المغرب الأقصى المشهورة ، فهى المزمه ، وهى فرضه مشهورة ببر العدوة ، ومرسى سبتة ومرسى آنفا ، ومرسى مازيفين ومرسى آسفى ، ومرسى فضاله الواقع بالقرب من سلا ، وكانت ترده المراكب من الاندلس [١٢٣] .

أما عن الاستحكامات الحربية البحرية فى غرب العالم الاسلامى فتحدثنا عنها المصادر الاسلامية فتقول : وهكذا نشأت الربط على سواحل الاندلس ، وأهمها قاعدة مريه بجانه الواقعة فى الجنوب الغربى من الأندلس ، موضع الاحتكاك مع الأمم النصرانية والتى اتخذها العرب (رباطا) وابتنت فيها محارس ، وكان الناس ينتحعونها ويرابطون فيها ، ولا عمارة فيها يومئذ ولا سكنى [١٢٤] واسم المرية فى حد ذاته مشتق من وظيفتها أو من الغرض الذى اقيمت من أجله ، اذ كانت تتخذ فى الأصل (مرأى) ومحرساً لمدينة بجاية القريبة منها والتى لا تبعد عنها بأكثر من ستة أميال [١٢٥] إلى الشمال .

كما تعرضت سواحل الاندلس فى المنطقة الساحلية الممتدة جنوبا من مصب وادى ابرة عند طرطوشة ثم شمالا حتى مصب نهر تاجه عند أشبونة فى الغرب فى القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد) لغارات قوى الاعداء (١٢٦) . ومن ثم فقد كان أهل الأندلس هم وأهل صقلية أخبر الناس بالبحر المتوسط وبحدوده وخلجانه ، وذلك لما قام به أمراء بنى أمية من توطين بعض الأسرات العربية على الساحل الجنوبى الشرقى لحمايته من الغارات التى كان يشنها النورمان أو القطالونيون أو البيشيون أو البنادقة رداً على غارات المسلمين على السواحل الايطالية ، فانزلوا جماعة من عرب اليمن وهم (بنو سراج) القُضاعيون على ساحل بَجَاية ، ووكلوا اليهم حراسة مايليهم من البحر وحفظ الساحل (١٢٧) ، فعرف الاقليم لذلك باسم أرش اليمن ثم نزل مرية بجانة (سنة ٢٧١هـ / سنة ٨٨٤م) جماعة من البحريين الأندلسيين الذين كانوا يترددون بسفنهم فيما بين الساحل الجنوبى الشرق من الأندلس وساحل تنس بالمغرب الأوسط ، وكان بعضهم من المولدين أو (المعاهدة) وقد احتفظ البحريون بأرض بجاية فى إمارة عبد الله فاتخذوا بها عشرين حصنا ، منه حصن الجابية والخابية وبرشانة وعالية وبنى طارق وناشر (١٢٨) .

وكان طبيعيا أن يزداد النشاط الإسلامى الأندلسى بعد حركة الاسترداد المسيحية ذلك ان المسلمين الذين أجبروا على ترك اسبانيا بعد الحرب التى عرفت عندهم باسم حركة الاسترداد (Reconquesta) (١٢٩) واتجهوا إلى موانىء شمال افريقيا تاركين ديارهم وممتلكاتهم فى هذه البلاد ، أخذوا يشنون حرباً انتقامية على السفن الأوروبية عامة والأسبانية خاصة ، فى البحر المتوسط . فيباغتون هذه السفن ويستولون على ما يمكن الاستيلاء عليه ويغرقون السفن ، ويتصرفون بالبيع أو غيره فى الغنيمة التى استولوا عليها وقد اتسمت هذه العمليات البحرية فى كثير من الحالات بصفة الجهاد ضد سفن ورجال واقتصاد الأعداء . فقد كوَّن المهاجرون الأندلسيون بتطوان ، وسلا والرباط بالذات ، أسطولاً حربياً قوياً أخذ يُغير على مراكب الأسبان بالذات فى البحر ، بل ويهاجم السواحل الأسبانية ذاتها فيلحق بها الضرر ، وينقذ بعض المترقبين من المسلمين من الراغبين فى الهجرة . وقد أثار هذا الأسطول الرعب فى نفوس البحارة المسيحيين وخاصة الأسبان ، وقد أطلق الأوروبيون على عمليات الجهاد لفظ القرصنة (١٣٠) . وهكذا تهيأ الجو لصراع دموى عنيف بين الأسبان من

جهة تؤازرهم القوى المسيحية الأوروبية وبين ثغور ومدن شمال أفريقية الإسلامية .

على أنه كثيرا ما كانت الحملات البحرية تنزل قوات برية فى الأماكن التى تغزوها وكان يتم التنسيق بينهما [١٣١] ، فيتفق مقدم عسكر البر ومقدم عسكر البحر على واجبات كل منهما وكيفية التعاون بينهما [١٣٢] .

أما بالنسبة لجزر البحر المتوسط فقد ظلت منار نزاع وقتال مستمر بين الدولة البيزنطية والمسلمين ، فقد أخذت ترسل الحملة الواحدة بعد الأخرى لزخزحة المسلمين من جزيرة صقلية [١٣٣] منذ الدولة الفاطمية لكن دون جدوى . فقد استطاع القائد الفاطمى الحسن بن على الكلبى ان يوقع الهزيمة بالبيزنطيين فاخرجهم من (ترمينى) (Termini) ثم عبر خليج مسينا (Messina) وانضم إلى الجيوش أخيه (عمار بن أبى الحسن الكلبى) وصار الأخوان يغزوان مدينة بعد مدينة ، حتى اضطر الامبراطور البيزنطى إلى طلب الهدنة والصلح (سنة ٣٤٧هـ / سنة ٩٥٨م) .

أما عن باقى الجزر والمدن الساحلية فى البحر المتوسط مثل بيزا وجنوه [١٣٤] فقد استمرت العلاقات بينها وبين الدولة الفاطمية يغلب عليها حالة التوتر حتى آخر عهد الخليفة الآمر باحكام الله الفاطمى (سنة ٤٩٥هـ - سنة ٥٢٤هـ / سنة ١١٠١م - سنة ١١٣٠م) . ولكن سرعان ما عدلت بيزا من سياستها حرصاً منها على استثماراتها التجارية فى موانىء وأسواق الدولة الفاطمية فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط [١٣٥] .

على أنه برغم العلاقات التجارية التى قامت بين المدن الايطالية [١٣٦] وفى مقدمتها (أمالفى) وبين مصر والشام فى العصر الفاطمى ، إلا أنه سرعان ما اتخذت هذه المدن طابعاً عدائياً ضد الدولة الفاطمية حين اسهمت بعض هذه المدن فى الحملات الصليبية التى اغارت على بعض مدن الشام ومصر فى أواخر العصر الفاطمى [١٣٨] . فقد أرسل غليوم الأول صاحب صقلية أسطولاً نزل فى دمياط (سنة ٥٥٠هـ / سنة ١١٥٥م) فى عهد الخليفة الفائز بنصر الله ووزيره الصالح طلائع ، وكان عدد سفن الأسطول ستين سفينة ، عاثت فى دمياط فسادا ثم اتجه

إلى تنيس فقتل الرجال وسبى النساء ثم غادرها إلى رشيد ثم الاسكندرية ، ولكنه سرعان ما فر هاربا عند ظهور الأسطول المصرى [١٣٩] .

أما عن الأسلحة البحرية التى استخدمها الفاطميون ، فهى تكاد لا تختلف كثيرا عن ما كانت عليه فى معركة (ذات الصوارى) ، فقد كانت المراكب الفاطمية الحربية مزودة بأنواع الأسلحة المختلفة التى يفصلها القلقشندى [١٤٠] فيقول : إن أسلحة رجال الأسطول الرئيسية كانت عبارة عن القسى التى تشد بواسطة اليد أو الرجل . أما عن أسلحة المراكب الكبيرة فكانت تزود بالمنجنيقات والعدادات لقذف الحجارة ، أو المواد الملتهبة [١٤١] ، كما تزود بالكلاليب التى ترمى على العدو فتوقف حركته . كما أُستخدم النفط ، وكانت السفن الفاطمية تحمى نفسها من نار العدو بتغطية هيكلها بدرع خارجى يسمى (لبوس) عليه غطاء يسمى لبود مصنوع من جلد البقر الطرية أو من البسط ، بينما يحتمى المقاتلون من النار المقذوفه عليهم بدهن أجسامهم بمادة (البلسان) الواقية من الحريق . وكانت قطع الأسطول الفاطمى مزوده بكل ما هو ضرورى للحرب فى البر ، كما كانت مزودة بالأسلحة المستخدمة لنقب الأسوار بموانى الأعداء كالأبراج والدبابات والسلالم والسلاح [١٤٣] .

أما عن واجبات قائد الأسطول عند الفاطميين و اسطولهم ، فيحدثنا عنهم المقريزى [١٤٤] فيقول : كان على (والى حرب البحر) إذا خرج للقتال أن يكثر تقوينها وادخار الآتها حتى اذا تلف شىء منها وجد ما يخلفه . كما يختار القواد والرؤساء العارفين بمسالك البحر ومراسيه ، وعلامات الريح وتغييرات الأنواء والحركات البحرية من المد والجزر . وكان من واجبات قائد الأسطول وقت الحرب ، ألا يهجم على المراسى ، لئلا تكون مراكب العدو كامنه فيه . ولا يتقدم إلى البر بعد المعرفة والاحزار من الاحجار والشعاب ، والاحراش التى تتكسر عليها المراكب ويكثر من الماء والزاد للاكل والتقوت به خلال المده التى يجرون فيها .

ومن موظفى الأسطول (الربان) ويليه فى الأهمية [١٤٥] (الديربان) أى الرقيب الذى يقف فى مقدمة المركب ، يستطع أحوال البحر فى حالة السلم ، وأخبار العدو فى وقت الحرب . ثم يليه (المنادى) وهو الذى يقوم بتبليغ أوامر الزبان إلى الملاحين والتوتيه بصوته الحاد المرتفع . ومن موظفى الأسطول كذلك (النقباء) وهم أفراد

معروفون فى ديوان الجهاد يتولون جمع المقاتله للاسطول ، ويشترط فيهم أن يكونوا من بين الذين يعرفون الحرب البحرية ويتقنون فنها جيدا . وكان الأسطول الفاطمى يضم قفصا أو أكثر يحتوى على أسراب من الحمام (الزاجل) الذى يستخدم فى نقل الرسائل بين مختلف وحدات الأسطول ، بلاضافة إلى مركب رئيس أو مقدم الأسطول كان يزود بمصباح مميز تهتدى به المراكب الأخرى (١٤٦) .

وكان يتولى قيادة الأسطول المصرى فى العصر الفاطمى عشرة قواد عليهم رئيس قائد القواد وكان يسمى فى العصر الفاطمى (أمير الجيوش) (١٤٧) . أما تشكيل الجيش فكان عشاريا أى مكون من عشر قطعات حربية (١٤٨) ، ولما كان هذا الاصطلاح غير معروف لدينا الآن فانه يمكننا أن نخرج منه باحتمالين لاسلوب عمل الأسطول المصرى فى العصر الفاطمى .

(أ) – إما أن يكون مكوناً من أسطولين منفصلين لكل منهما قيادة تخضع للقائد العام الذى هو أمير الجيوش أو قائد القواد ، وعلى هذا يكون التشكيل العام للأسطولين (من منطلق أن لكل قائد من القواد العشرة قيادته التى هى مجموعة من السفن الحربية (شكل رقم ١١) بمعنى ان يكثف القلب

الذى هو مكان القائد العام للأسطول والقوه الضاربة الرئيسية للأسطول بقطعه أى بقيادة أحد القواد الخمسة التى تنضم إلى قيادة القائد العام فى القلب . وبهذا يكون مجموع القطاعات الحربية أربع قطع وتتبقى قطعة تكون كاحتياطى عام للأسطول ويمكن أن تكون مقرا لقائد الأسطول اذا دعت الحاجة وان كان مكانه الطبيعى فى القلب (شكل رقم ١٣) .

(ب) – الاحتمال الثانى أيضا من منطلق التشكيل الثلاثى الخماسى (القلب و الميسرة والميمنة) وأن تعمل كل القطاعات كأسطول واحد موحد بالصورة الآتية ، كل ثلاث قطعات تكون وحدة من وحدات التشكيل الثلاثى أى كل ثلاث قيادات (قطعات هى مجموعة من السفن) تكون ميسرة أو قلب أو ميمنة ، وبهذا يكون مجموع القطعات المكونة للخط الأول تسع وتبقى واحده تكون احتياطى عام للأسطول . وكذلك يمكن أن يكون أمير

الجيوش أو قائد القواد فى هذا الاحتياطى العام للاشراف على الأسطول أو يكون مكانه فى القلب .

(جـ) – على اننى أرجح الاحتمال الأول ، وهو أن الأسطول المصرى لم يكن يعمل كوحدة واحدة بل كان مقسماً إلى أسطولين ومما يؤيد ماذهبت إليه ، كثرة الحروب البحرية التى كانت تخوضها الدوله الفاطمية ، والا فما معنى وظيفة قائد القواد أو أمير الجيوش اذا كان الأسطول موحداً .

ومما يجب الاشارة إليه فى هذا المجال ، هو انه ما زالت النظرة إلى (الأسطولى) أقل بكثير من الجندى البرى حتى العصر الفاطمى ، وإلا بماذا نفسر وظيفة أمير الجيوش التى تدل دلالة واضحة على ان سيطرة القوات البرية ما زالت هى المسيطرة ومتحكمة فى الأسطول برغم الشوط الكبير الذى قطعه الأسطول فى المعارك البحرية . والواقع اننا اذا نظرنا إلى أسلوب القتال البحرى لا نجد هناك تجنيا على (الأسطولى) ذلك ان القتال البحرى كان فى الأساس قتالا بريا ، وان الفارق الوحيد هو ان القتال المتلاحم البرى كان يتم فوق عائمات التى هى السفن . كما ان الفيصل فى المعركة البحرية انما يكون على أيدى المقاتلين (الجند) الذين يقاتلون بالسيوف عندما تتشابك السفن بالخطاطيف . كما يدل أيضا على ان السفينة لم تصبح بعد قطعة حربية مستقلة بذاتها يحكفها تدمير سفينة العدو بوسائل الرمى كما هو الحال اليوم ، انما التدمير كان يأتى فى معظمه عن طريق الجند المقاتلين بالقتال المتلاحم برغم ما كان يسبق ذلك القتال من فاصل من الرمى بالمجانيق وبالنفط والذى تطور وأصبح بالنار الإغريقية . أما وظيفة رجل الأسطول فهو نوتى يقود السفينة حتى تلاقى سفن العدو ، وكانت نقطة التلاقى غالبا ما تكون بالقرب من الشواطىء وليست فى عرض البحر . ومن ثم فقد كان تفوق الجندى البرى على الأسطولى شيئا منطقياً ومن ثم فقد كان الفارق كبير فى العطاء بين الاثنين . هذا فضلاً عن أن كلمة (أمير الجيوش) انما تدل على انه يقود جيشا أو عدة جيوش وليست أسطولا ، كما يدل غلى انه ليس أسطولا واحدا بل عدة أساطيل .

على انه لم يكد يستولى صلاح الدين على الحكم فى مصر بعد زوال الدولة الفاطمية حتى أنشأ ديوانا للأسطول وقرر له ميزانية خاصة من خراج الفيوم وأعمالها وغيرها من البلدان مثل بهتيم والأميرية وأوسيم [١٤٩] . وأضاف إليها ما تحصل من أشجار

السنط ، وكان ثمن العود منه يصل إلى مائة دينار أحياناً ، وزاد عليه النطرون الذى بلغ خراجه (٨٠٠٠) دينار ، وأموال الزكاة التى كانت تزيد على (٥٠٠٠٠) دينار [١٥٠]

ولعل من أهم الأحداث لتى تعرضت لها الدولة الأيوبية فى أول عهدها وفى توقيت متوافق مع مؤامرة داخلية شيعية ضد صلاح الدين ، هو حصار الأسطول الصقلى (النورمانى) لميناء الاسكندرية (سنة ٥٧٠هـ / سنة ١١٧٤م) [١٥١] . وكان أقطاب هذه المؤامرة هم الشاعر عمارة اليمنى وعبد الصمد الكاتب والقاضى الفوريس داعى دعاة الشيعة وابن عبد القوى وغيرهم من الشيعة [١٥٢] ، فقام عمارة اليمنى [١٥٣] مع ملك صقليه غليوم الثانى وهاجموا الشواطىء المصرية فى ذات الوقت الذى قامت فيه الثورة الشيعية الفاطمية ضد صلاح الدين [١٥٤] . فقد تم الاتفاق بين الفريقين على ان يرسل غليوم الثانى أسطوله المكون من (٢٨٢) سفينة (انظر لوحة رقم ١٠) وذلك (سنة ٥٧٠هـ / سنة ١١٧٤م) إلى الاسكندرية ، فلما وصلها حاصرها وقذفها بالمجانيق والدبابات ثلاثة أيام متوالية ، ودمر بعض السفن التجارية الراسية بالميناء [١٥٥] . إلا أن المصريين تمكنوا من الصمود أمام الأسطول النورمانى ، فى حين اتجه صلاح الدين على رأس جيش قادما من فاقوس إلى الاسكندرية [١٥٦] ، وقام بهجوم مضاد ضد النورمان ، فاغرق بعض سفنهم وأحرق خيامهم الموجودة على البر ، ففر النورمان بسفنهم مهزومين من حيث أتوا [١٥٧] .

ويفصل لنا المقريزى وكذا ابن واصل أنواع السفن النورمانية وعدد الفرسان فى هذا الأسطول فيقولا : تكون الأسطول من (٢٨٢) سفينة حربية من نوع الطرائد حملت فى داخلها ألف فارس . وقد انزلت هذه الطرائد الكبيرة عند الاسكندرية ستا وثلاثين طريدة أصغر تحمل الخيل ، وكذا مائتى وستين [١٥٨] (لوحة رقم ٩) فى كل ستين مائة وخمسون رجلا . أما السفن التى حملت آلات الحرب فكانت ست ، والسفن التى تحمل الزاد والرجال فأربعون سفينة .

أما عن المعارك البحرية التى خاضها الأسطول المصرى ضد الصليبيين فى عهد صلاح الدين فهى كثيرة ومن ثم فسنكتفى هنا بذكر أهمها . لقد خرج الأسطول المصرى لمهاجمة ميناء عكا الصليبى (سنة ٥٧٥هـ / سنة ١١٧٩م) وفى طريقه إلى عكا دمَّر حصن الأحزان ، لم يكتف بذلك بل بادر بالاغارة على صور

وصيدا وبيروت . ولما وصل إلى عكا [١٥٩] وجد الميناء مكتظا بسفن الصليبيين فحطم قسما منها وأخلى الميناء من الباق . وهنا يقول سيد على الحريرى : [١٦٠] أنه لم يسبق للأسطول المصرى ان انتصر انتصارا مؤزرا كهذا «ويصف الحريرى سفن الأسطول المصرى فى هذه الموقعة فيقول : ومراكبهم كانت كبائن إلا انها تمرق مروق السهام ، ورواكد هى مدائن إلا انها تمر مر السحاب غير الجهام ، فلا عجب ان تسمى غربانا [١٦١] (انظر لوحة ١١ ، ١٢) وتنشر بين ضلوعها أجنحة الحمام وتسمى جوارى وكم يسر مجراها من نصر» .

وبرغم وجود معاهدة عدم اعتداء بين صلاح الدين الأيوبى وبين الملك بلدوين الرابع ملك بيت المقدس ، إلا ان صلاح الدين كان فى حل من مهاجمة القواعد الصليبية فى شمال بلاد الشام وبخاصة إمارة طرابلس الصليبية لانها خارجة عن سلطة ملك بيت المقدس . لذلك قام الأسطول المصرى (سنة ٥٧٦هـ / سنة ١١٨٠م) بمهاجمة قاعدة طرسوس البحرية وكبدها خسائر فادحة الأمر الذى جعل أمير طرابلس ريموند الثالث يسعى إلى عقد هدنة مماثلة للهدنة التى عقدها ملك بيت المقدس مع صلاح الدين [١٦٢] . والملاحظ أن العمليات الحربية قد تميزت فى العصر الأيوبى بأنها إهتمت بمهاجمة موانىء العدو وتدمير أساطيله ولم تقتصر على عمليات الانزال البحرى كالفترات السابقة .

وقد يكون من المفيد ونحن بصدد الحديث عن الأساطيل المصرية أن نذكر شيئا عن أحوال رجال الأسطول فى أواخر العصر الأيوبى ، لقد كان من جراء الفوضى السياسية التى حدثت فى نهاية الدولة الأيوبية أن أهملت مرافق كثيرة كان أهمها الأسطول المصرى . فقد وصلت الحالة بالأسطول ، انه حينما تدعو الحاجة إلى حشد الأسطول بالرجال ، وهم فى تلك الأثناء لا وجود لهم ، فقد كان يقبض على الناس فى الطرقات ويكبلون بالسلاسل ثم يزج بهم فى السجون يبيتون فيها الليل حتى يستحيل عليهم الهرب ، وهكذا أصبح من العسير التفريق بين الأسير والأسطولى ، وبمعنى آخر فقد كانت أعمال الأسطول تفرض بطريق السخرة ، ومن ثم أصبحت الخدمة فى الأسطول مسبة يسب بها الرجال ، بعد أن كان فى عهد صلاح الدين الأيوبى العمل فى الأسطول فخرا يعتز به الرجال [١٦٣] .

على أن حال رجال الأسطول سرعان ما تغير باعتلاء المماليك دست الحكم فى مصر ، فقد أولى السلطان الظاهر بيبرس (سنة ٦٥٩هـ / سنة ١٢٦٠م) اهتماماً كبيراً حتى يستطيع أن يصد غارات المغول على سواحل الشام [١٦٤] ، والتى كبدهم فيها خسائر كبيرة عند ساحلى يافا وانطاكية . هذا فضلا عن شروعه فى الهجوم البحرى على قبرص [١٦٥] (سنة ٦٦٩هـ / سنة ١٢٧٠م) . لذلك نجد الظاهر بيبرس يغيِّر تلك المعاملة السيئة التى كان يعامل بها رجال الأسطول فى أواخر العصر الأيوبى . وقد استتبع ذلك بالضرورة الاهتمام ببناء الأسطول ، فقد أمر بقطع الأخشاب لعمارة الشوانى ، ومنع الناس من التصرف فى الأخشاب ، وقامت الأسكندرية ودمياط ببناء الشوانى [١٦٦] .

ومن الثابت أن الأسطول المملوكى قد قام بدور كبير فى معاونة القوات البرية التى قامت بتطهير بلاد الشام من آخر البقايا الصليبية فى بلاد الشام من أنطاكية وطرابلس وعكا وصور وصيدا وبيروت وعتليت وانطرسوس ، التى كان الصليبيون قد احتلوها .

على أن معظم المعارك التى دار رحاها فى البحر بين المسلمين والصليبيين بعد خروج الصليبيين من آخر معاقلهم فى عكا فى عهد الأشرف خليل بن قلاوون (سنة ٦٩١هـ / سنة ١٢٩١م) قد تحولت من البر إلى البحر [١٦٧] . وقد احدثت تصفية الامارات الصليبية نهائيا من بلاد الشام بعد سقوط عكا رد فعل عنيف فى الغرب الأوروبى [١٦٨] . لذلك رأى المتحمسون للحروب الصليبية فى الغرب الأوروبى القيام بعمليات تخريبية واسعة بالموانى المصرية والشامية لشل الحركة التجارية بها مما يؤدى إلى حرمان الدولة المملوكية من المورد الرئيسى لثرائها وقوتها حتى يمكن القضاء عليها [١٦٩] . لذلك فقد عمد السلاطين إلى بناء مدنا بعيدة عن الشاطىء ، مثال ذلك ما عمله السلطان المنصور قلاوون (سنة ٦٧٨ - ٦٨٩هـ / سنة ١٢٧٩ - ١٢٩٠م) بعد الاستيلاء على طرابلس (سنة ٦٨٨هـ / سنة ١٢٨٩م) أمر بهدم المدينة وانشأ مدينة أخرى [١٧٠] بعيدة عن الساحل حتى يجنب المدينة الجديدة الأضرار التى تصيبها من غارات الصليبيين ، وأقام موضع طرابلس القديمة عدداً من الأبراج على طول الساحل الشرق والشمالى عنها ضد هجمات الأساطيل الغازية [١٧١] .

كما أقام السلطان الأشرف برسباى برجاً عند الطينة شرق دمياط (سنة ٨٢٨هـ / سنة ١٤٢٤م) وزوده بحامية صغيرة من الجنود والفرسان المماليك وشحنه بالأسلحة ، كما دعمهم بمجموعة من العربان الذين خربوا خيامهم حول البرج للمساعدة عند الحاجة [١٧٢] . وفى عهد السلطان أبو سعيد جقمق أقيم قلعتان صغيرتان فى طرابلس وصيدا (سنة ٨٤٥هـ / سنة ١٤٤١م) [١٧٣] ، وجعل فيها عددا من الرجال المسلمين المجاهدين ممن يحسنون الرمى بالنشاب والنبل والجرخ والمكحلة وسائر أنواع الأسلحة ، بالاضافة إلى رجل يجيد صناعة البارود فى القلعتين ليصنع ما يحتاج إليه من البارود . كما أنشأ السلطان قايتباى (سنة ٨٧٦هـ / سنة ١٤٧١م) قلعة جنوب غرب ثغر رشيد ، كما تم تشييد قلعته الشهيرة بالأسكندرية (سنة ٨٨٤هـ / سنة ١٤٧٩م) [١٧٤] . كما عمَّر السلطان قايتباى قاعة السلاح فى دمياط وشحنها بالأسلحة ورتب بها زردكاشاً [١٧٥] يتولى صقال الأسلحة التى بالقاعة المذكورة وتنظيفها واصلاحها بحيث تكون معدة للاستعمال فى أى وقت [١٧٦] . وكان اهتمام المماليك بالدفاعات الساحلية فى مصر والشام تحسباً منهم أن الخطر سيأتيهم من البحر ، وهو أسلوب دفاعى لجأ إليه المماليك نظرا لطول الشواطىء المصرية والشامية الأمر الذى يشكل صعوبة على الأساطيل المملوكية القيام بعمل الدوريات السيارة المستمرة للدفاع عن الشواطىء . لذلك كان الغرض من تقوية الدفاعات الساحلية الوقوف عائقا أمام الأساطيل المعادية لأكبر فترة ممكنة تمكن الأسطول المملوكى القيام بالهجوم المضاد ونجدة الميناء الذى تعرض للغزو .

ونشير هنا أن ثمة مبادىء تكتيكية بحرية قد أضيفت فى نهاية القرن الثالث عشر للميلاد السابع الهجرى ، إلى الخبرات القتالية فى البحر المتوسط . ويمكن إيجاز هذه التكتيكات فى عدة مبادىء واعتبارات منها ، وجوب أن تكون مؤخرة سفن الأسطول فى اتجاه الشاطىء وذلك فى حالة حدوث المعركة البحرية بالقرب من الشاطىء ، والقصد من ذلك الاستفادة من ريح الشاطىء وحتى تتفادى السفن الاحاطة بها . أما المبدء الثانى فكان هجوميا وتعرضيًّاً فقد جاءت خبرات القرن الثالث عشر للميلاد القتالية فى البحر المتوسط بتكتيك يقضى بضرورة المبادرة بكسر تشكيل أسطول العدو المتخذ هيئة الهلال المجدف (Concove Cresent)

بالهجوم على الجزء الأوسط منه ، والاستفادة من قطع الأسطول الاحتياطية فى الهجوم النهائى بعد قيام باقى قطع الأسطول من تثبيت أسطول العدو واحداث الخسائر فى سفينه ورجاله [١٧٧] . وهذه الخبرات القتالية البحرية التى أستحدثت كانت بمثابة نقطة تحول هامة فى عصر المجاديف (Polyremes) ، وقد أتت هذه الخبرات كدروس مستفادة من أشهر معارك القرن السابع الهجرى الثالث الميلادى وهى معركة كورزولا (Curzolo) البحرية سنة ٦٩٨هـ / سنة ١٢٩٨م بين الجنوية وأسطول البندقية .

وقد حدثت معركة كورزولا فى الثامن من سبتمبر سنة ١٢٩٨م / (شكل رقم ١٤) ، وهى من أعظم المعارك البحرية التى خاضها البحرية الجنوية فى عهد قائدها الشاب لمبا دوريا (Lomba Doria) . وكان عدد سفن البندقية التى يقودها اندريا داندولو (Andrea Dandolo) (٩٦) سفينة شينى (galleys) ، بينما عدد سفن جنوة (٧٦) سفينة ، ومع أنه لم يكن هناك فرق كبير عند مقارنة قوات الطرفين إلا أن اختلافاً تكتيكيا رجح كفة عن أخرى . فقد اتبع قائد أسطول جنوة لمبا دوريا ذات التكتيك الذى اتبعه سلفه اوبرتو دوريا (Oberto Doria) من قبل فى معركة ملوريا [١٧٨] (Meloria) .

وقد ساقت الرياح الآتية من الشاطىء باقى سفن جنوة فى غير انتظام نحو أسطول البندقية ، ومن ثم قامت معركة شرسة بتلاحم الأيدى بين الفريقين . وقام جنود جنوة الذين احتلوا مقدمة قلاع سفنهم برمى الزيت المغلى المخلوط بالجير الحى والرمل فحملته الرياح إلى عيون العدو فشلت حركته . وفى هذه اللحظة المواتية أعطى قائد الأسطول الجينوى الاشارة إلى سفينة الباقية والتى تبلغ (١٥) سفينة ، والتى شنت غارة شرسة على جانبى ومؤخرة أسطول البندقية المنهار فاستسلمت (٤٨) سفينة ، أما باقى السفن فقد لاذت بالضرر . وأسر (٧٤٠٠) مقاتل بندقى وكذا قتل (١٠٠٠٠) ، بينما لم يفقد أسطول جنوة غير (٥٠٠) محارب [١٧٩] .

أما عن الأسلوب التكتيكى الذى نهجه أسطول جنوة فقد حرص على أن تكون مؤخرة سفنه فى اتجاه الشاطىء حتى تستفيد من الريح التى تهب على الشاطىء عندما تتحرك للقتال . أما أسطول البندقية فقد كان فى تشكيل الهلال

المنحنى (Convcave -Crescent) . وبدأت المعركة بتقدم طليعة أسطول جنوة وكانت مكونه من عشرة سفن هاجمت بشجاعة أسطول البندقية وأثارت فيه الفوضى ولاضطراب . وبرغم تمكن أسطول البندقية من تطويق جنوة ، إلا أن الجنوية تمكنوا من الاخلال بتشكيل جانب من أسطول عدوهم . وهكذا استطاع اسطول جنوة من كسب الخطوة الأولى فى المعركة التى كان ثمنها فقدان أحد قادة أسطول جنوة وهو ابن القائد العام لهذا الأسطول وهو (Lamb Doria) .

وأضطر قائد أسطول جنوة بعد هذا النصر المؤزر أن يحرق (١٦٦) من سفن العدو قرب الشاطىء لأنها لم تعد صالحة للاستعمال ، أما باقى السفن وعددها (١٨) سفينة فقد أرسلها إلى جنوة بما فيها من الأسرى الذين كان من بينهم قائد أسطول البندقية المنهزم اندريا دانولو (Andrea Danolo) والرحالة الشهير مارك بولو (Marco-Polo) ، لكن أندريا لم يستطع تحمل عار هذه الهزيمة فانتحر بضرب رأسه بسارى السفينة التى حملته أسيراً [(١٨٠)] .

وبرغم شهرة هذه المعركة البحرية ، وما وصل إليه فن القتال البحرى فى نهاية القرن السابع الهجرى الثالث عشر للميلاد إلا أننا نطالع فى ثنايا هذه المعركة فن الاستفادة من الشاطىء والرياح وهذا ينهض دليلاً واضحا على أن المعارك البحرية ظلت تتخذ من المواقع القريبة من الشاطىء ميدانا لها .

لم تخمد الحركة الصليبية بطردهم من بلاد الشام ، فقد حاول الصليبيون المتحمسون القصاص من دولة المماليك وكان على رأس هؤلاء ملك قبرص بطرس لوزجنان (سنة ١٣٥٩ - ١٣٦٩م) الذى قام بحملة واسعة فى أوروبا [(١٨١)] ، يدعو لمشروع صليبى جديد فحواه ضرب سلطنة المماليك بحمل بحرية على الاسكندرية ، وقام بها بالفعل (سنة ٧٦٧هـ / سنة ١٣٦٥م) «فخربها ونهب كل ما فيها من متاجر ونفائس [(١٨٢)]» وقد وصف النويرى هذه الحملة كما وصف قائدها بطرس الأول بقوله : «لقد دخلها لصا وخرج منها لصا [(١٨٣)] ، والتى انتهى أمرها بالفشل بمجرد اقتراب القوات المملوكية منها [(١٨٤)]» .

وفى عهد السلطان الظاهر أبى سعيد برقوق ، أغار الفرنج على رشيد (سنة ٧٨٦هـ / سنة ١٣٨٤م) فخرج لصدهم الأمير يونس الدودار والأمير الطنبغا المعلم فلم يدركوهم (١٨٥) . وفى (سنة ٧٨٩هـ / سنة ١٣٨٧م) أغار الصليبيون على طرابلس فتصدى لهم المسلمون وتمكنوا من قتل جماعة منهم وأسروا ثلاثة مراكب (١٨٦) . وفى رمضان (سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م) هجمت أربعة سفن لقراصنة الفرنجة على ناحية نستراوه غرب البرلس وأقاموا فيها ثلاثة أيام يسبون وينهبون (١٨٧) .

واستمرت الهجمات المسيحية على دولة المماليك الجراكسة من قاعدة قبرص ، ففى (سنة ٨٠٦هـ / سنة ١٤٠٣م) قام حاكم جنوة الفرنسى المارشال بوسيكو (Boucicant) بالاشتراك مع جانوس ملك قبرص وفرسان الاسبتارية بجزيرة رودس بالاغارة على الموانى الشامية ، طرابلس وبيروت وصيدا ، فتصدى لهم الأمير الشيخ المحمودى نائب الشام (١٨٨) . واستمرت غارات القبارصة والقطلان على الشواطىء المملوكية مما دفع المماليك إلى الاغارة على قبرص فى عامى (٨١٣هـ / ١٤١٠م) ، (٨١٤هـ / ١٤١١م) (١٨٩) .

ولعل أقصى انتقام تعرضت له جزيرة قبرص تلك الحملات البحر التى أرسلها السلطان الأشرف برسباى ، الأولى (سنة ٨٢٧هـ / سنة ١٤٢٤م) عندما علم بأن الفرنج أخذوا مركبين من مراكب المسلمين قرب دمياط (١٩٠) ، كما علم بأن ملك قبرص جانوس استولى على سفينة محملة بالهدايا المرسلة من برسباى إلى السلطان مراد العثمانى (١٩١) . فأرسل برسباى ثلاث حملات بحرية لغزو قبرص الأولى (سنة ٨٢٧هـ / سنة ١٤٢٤م) وكانت بغرض الاستكشاف (١٩٢) . وكانت الثانية (سنة ٨٢٨هـ / سنة ١٤٢٥م) وكانت أكبر عددا وعدة من الأولى ، فقد حققت بعض النجاح ، أما الحملة الثالثة وهى الحملة الرئيسية التى قضت على قبرص قضاءا مبرما ، فقد استولت عليها وأسرت ملكها جانوس وثلاثة آلاف أسير ، وأصبحت قبرص منذ ذلك الحين من حملة أملاك السلطان الأشرف برسباى (١٩٣) . فلما آلت قبرص إلى مدينة البندقية (سنة ٨٧٦هـ / سنة ١٤٧١م) استمر البنادقة فى دفع الجزية المفروضة على قبرص إلى سلاطين المماليك حتى زالت دولتهم (سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م) وعنئز حولت البندقية الجزية إلى السلطان العثمانى (١٩٤)

ولم يكد تجنو قوة قبرص حتى حلت محلها جزيرة رودس ، التى كانت ملكا للدولة البيزنطية حتى استولى عليها هيئة الفرسان الاسبتارية بمساعدة جنوه وذلك (سنة ١٣١٠م) . وقد قام الاسبتارية باتخاذها قاعدة للهجوم على المسلمين بعد سقوط عكا آخر المعاقل الصليبية فى بلاد الشام . ولعل خير دليل على ذلك ، حملة بطرس الأول لوزجنان (سنة ١٣٦٥م) التى غزت ميناء الاسكندرية كانت مجهزة من رودس (١٩٥) . أما عن الأسباب المباشرة التى دفعت المماليك إلى غزو رودس فهو النجاح الذى حققه السلطان برسباى ، الأمر الذى دفع السلطان جقمق (سنة ٨٤٢هـ / سنة ١٤٣٨م إلى سنة ٨٥٧هـ / سنة ١٤٥٣م) للاستيلاء على رودس . وقد انتهز السلطان جقمق فرصة طلب السلطان العثمانى فتح رودس فسارع بتلبية الطلب . والواقع ان السبب الذى دفع السلطان العثمانى مراد الثانى إلى فتح رودس هو صرف فرسان الاسبتارية إلى الدفاع عن جزيرتهم حتى يشغلهم عن الدخول فى الحلف المسيحى الذى كانت وظيفته مقاومة الفتوح العثمانية فى البلقان (١٩٦) . هذا فضلا عن ان السلطان جقمق وجد الأسطول الذى استولى به السلطان برسباى على قبرص كان ما يزال بحالة جيدة (١٩٧) .

وقد أخرج السلطان جقمق حملته الأولى البحرية إلى رودس فى (سنة ٨٤٤هـ / سنة ١٤٤٠م) من بولاق واتجهت إلى قبرص حيث أمدها حنا الثانى بالمؤن ، ثم توجهت إلى العلايا (١٩٨) ، حيث انضم إلى الأسطول بعض الجنود (١٩٩) . وقد انتهى أمر هذه الحملة بالفشل بسبب تسرب أخبار الحملة عن طريق الرهبان الفرنسيسكان المقيمين بدير صهيون وبيت لحم (٢٠٠) .

ثم عاد السلطان جقمق فاخرج حملة ثانية سبقها بحملة استطلاعية بحرية إلى رودس ، وبعد عودتها خرجت الحملة الثانية فى (سنة ٨٤٦هـ / سنة ١٤٤٣م) بقيادة مزدوجة من الأمير إينال العلائى الناصرى والأمير تمرباى (٢٠١) . وكانت عدة هذه الحملة تزيد على ثمانين غرابا وحمالات مربعات وزوارق ، وكان بها ما يزيد على (١٨٠٠) مقاتل . وقد فشلت هذه الحملة أيضا لانتهاء موسم القتال بحلول فصل الشتاء فعادت الحملة إلى مصر : وخرجت الحملة الثالثة (سنة ٨٤٨هـ / سنة ١٤٤٤م) وكانت تتألف من أكثر من ألف مملوك غير من سافر من المتطوعين الذين

بلغ عددهم حوالى ألف وثمانمائة مقاتل [٢٠٢] . وكانت مجهود هذه الحملة بريا وليس بحريا ، ثم قامت بعد ذلك مجموعة من سفن أهل رودس المعروفة باسم (القرقور) (أنظر لوحة رقم ٩) وأخذوا الأسطول المملوكى على غره ووقعت معركة عنيفة قتل فيها ثلثمائة جندى وجرح خمسمائة مما أضطر المماليك بعدها إلى الانسحاب على الفور . وأخيرا عقد الصلح بين سلطنة المماليك وفرسان الاسبتارية تعهد فيها الاسبتارية بعدم العدوان على السفن الإسلامية [٢٠٣] .

أما عن رجال الأسطول فى العصر المملوكى فقد كانوا ينقسمون إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهم : مقدم الأسطول والريس والجنود
مقدم الأسطول [٢٠٤] ، كان لابد أن تتوفر فيه عدة شروط لعل أهمها وأخطرها ، أن يكون بصيرا بأحكام الحروب ومواضع الفرص منها ، عارفا بالحيل والمكايد والخداع فيها ، عالما بتدبير العساكر وترتيب الجيوش . كما يتحتم عليه أن يكون على علم «بأمور البحر» ، فلا يهجم على المراسى لئلا تكون مراكب العدو كامنة فيها ، ولا يتقدم إلى البر إلا بعد المعرفة به [٢٠٥] . ومن الضرورى أن يقوم أمراء البحار بدراسة الأوصاف الطبيعية للساحل والجزر تجنبا للاحجار والشعاب والاحراش التى تنكسر عليها المراكب [٢٠٦] . كما كان على مقدم الأسطول أن لا ينقطع عن الرياضة ، وتفقد جوشنه والتدريب على لبسه والجرى به كل جمعة [٢٠٧] .

كما كان على مقدم الأسطول أن يستعرض المقاتلة ، كما يجب عرض الجيش عند ابتداء عقد الجيش ، وعند ابتداء اللقاء للحرب ، وعند تمام الفتح ويتبعه قسمة الغنائم [٢٠٨] . وينظر فى عدد المقاتلة وريش سهامهم وأوتارها فما كان طويلا قصر وما كان قصيرا طول [٢٠٩] .

ويتحتم كذلك على مقدم الأسطول التعرف على منافع ماء البحر وكيفية استعذابه ، اذ قد تلجئهم الظروف إلى شربه حينما ينفذ ما معهم من ماء عذب [٢١٠] .

وقد جرت العادة فى الحملات البحرية الكبرى ان يتولى قيادة الحملة أثنان من المقدمين أحدهما مقدم لعسكر البحر وتكون له الكلمة الأولى اذا ما كانت

المعركة بحرية [٢١١] والآخر مقدم لعسكر البر يتولى قيادة المعركة اذا ما انتقل القتال إلى البر ، وكان السلطان يحدد اختصاصات كل منهما حتى لا يعارض أحدهما الآخر [٢١٢].

ومن رجال الأسطول كذلك الريس ، وهو الذى يتولى توجيه الأسطول سواء بالريح أو بالمجاديف ، وعليه أن يكون ملماً بعلامات الريح وتغيرات الانواء والحركات البحرية من مد وجزر وغيره [٢١٣] كما يتحتم عليه أن يعرف مسالك البحر ومجاريه بواسطة الرهمانى [٢١٤] . هذا فضلا عن المامه بعلم الفلك [٢١٥] ومعرفة الاسطرلاب [٢١٦].

أما الجنود فتتكون من المماليك والمتطوعة [٢١٧] ، وقد بلغ من عناية السلاطين والأمراء بالأسطول ان كل أمير كان يتعهد باختيار أحسن ما عنده من المماليك لينزلهم فى الأسطول ويأمرهم بالمسير فيه للغزو اذا سار . وكان الجنود يلبسون الزرد النضير ومصفحات الحديد [٢١٨] ، كما يجب على الجندى فى الأسطول أن يبطن أسفل حذاءه بشعر الخيل أو الماعز حتى اذا ما وثب إلى المركب ثبت على الخشب الذى يكون عادة أملسا ، وليتجنب الانزلاق بسبب ما يوضع على ظهورها عادة من صابون رقيق ينزلق عليها من يطئها من الأعداء ، وحتى لا ينزلق فيداس تحت الأرجل وربما يقتل [٢١٩] .

أما عن تسليح جند الأسطول فى العصر المملوكى فيتكون من قوسين وثلاثين نشابة بنصول مبرودة مسنونة وصلبة بجعبه وسط . كذلك رمح وثيق سليم القصبة صحيح معتدل لا طويل مفرط ولا قصير معجز [٢٢٠] ، ومزراق مقوم وسيف قصير ماضٍ وثلاثة خناجر أحدها داخل الترس والثانى مربوط على زنده والثالث فى خفه وكذا ثلاثين حجرا [٢٢١] .

أما عن الدولة العثمانية – فى أول عهدها أى فى القرن ٨هـ / ١٤م – فقد شنت الدول الصليبية عدة حملات بحرية على الساحل الغربى من آسيا الصغرى [٢٢٢] واستمرت حتى أواخر النصف الأول من القرن الرابع عشر . وفى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى حاول بطرس الأول ملك قبرص القيام بحملات صليبية بهدف اعادة احتلال بيت المقدس . كما حاول الغرب الأوربى القيام بحملات على المشرق

لان حدوده كانت فى خطر ، فقد دمر الاتراك العثمانيون مملكة صربيا بانتصارهم الساحق فى كوسوفو (Kosovo) (ميدان الشحارير) (The Field of Black Birds) (سنة ٧٩٢هـ /سنة ١٣٨٩م) وأخذوا يهددون باكتساح هنغاريا .

وفى (سنة ٧٩٩هـ / سنة ١٣٩٦م) لبت اكثر القوى الأوربية الكبرى نداء ملك المجر (سيجموند) باعداد جيش صليبى ضخم مهمته رد الأتراك إلى الخلف وطردهم نهائيا إن أمكن . وكاد هذا الجيش أن يدخل الأرض التركية ولكن السلطان بيازيد أباد هذا الجيش إبادة تامة فى معركة ضارية عند مدينة (نيكوبوليس) ، الا أن الصليبيين اكرهوا السلطات على رفع الحصار على الاقل عن القسطنطينية [٢٢٣] . على أن مدينة القسطنطينية لم تستطع المقاومة طويلا فقد سقطت نهائيا على يد حفيد بيازيد محمد الثانى (الفاتح) (سنة ٨٥٧هـ / سنة ١٤٥٣م) .

وبعد عدة سنوات (سنة ٨٦٩هـ / سنة ١٤٦٤م) توفى البابا بيوس الثانى وهو فى طريقه لحملة صليبية جديدة ، وهكذا إنتهت الحروب الصليبية إلى نهايتها المحتومة ، بعد أربعة قرون من الزمان [٢٢٤] . فقد اتجهت الدولة اتجاها شرقيا فى قلب الشرق العربى بدلا من زحفها على أوربا ، وانتهى الأمر باستيلاء العثمانيين على بلاد الشام (سنة ٩٢٢هـ / سنة ١٥١٦م) وعلى مصر (سنة ٩٢٣هـ /سنة ١٥١٧م) ، كما امتد نفوذهم إلى الحجاز وبعض ثغور البحر الاحمر واليمن والعراق [٢٢٥] . أما بالنسبة لغرب حوض البحر المتوسط فقد اتخذت المواجهة الأسبانية العثمانية صورا واشكالا متعددة ، ففى بعض الأحيان لم يتعد الأمر مساندة قوة من القوى المتنافسة على الحكم فى احدى مناطق المغرب العربى ، بينما وصل الأمر فى وقت آخر إلى المواجهة الحربية بين القوتين .

على أن الأسبان انتهزوا فرصة انشغال الدولة العثمانية فى حروبها فى المشرق وخاصة مع الدولة الصفوية ، وبدأوا فى تنفيذ خططهم لحركة استعمارية فى البحر المتوسط ضد شمال افريقيا الإسلامية ، وكانت الهجمة البحرية الأولى ضد ميناء (المرسى-الكبير) فى الجزائر لماله من أهمية وخاصة فى رسو السفن ، هذا فضلا عن كونه مأوى البحارة المسلمين الذين كانوا يغيرون على السفن والسواحل الأسبانية .

وبدأت تجهيزات الأسطول الأسبانى فى مالقة وابحر منها (سنة ٩١١هـ / سنة ١٥٠٥م) بقيادة دون ديجو ديفى (Don Diego Devea) ، وكان فى هذا الأسطول

قوة تقدر (١٠,٠٠٠) مقاتل أنزلت كلها بعد ثمانية كيلومترات غربى (وهران) بالقرب من ميناء (المرسى الكبير) وتغلب الاسبان واحتلوا الميناء (سنة ٩١٥هـ / سنة ١٥٠٩م) [٢٢٦] .

ولم يكتف الاسبان بذلك بل أرسلوا فى نفس الوقت حملة كبيرة بقيادة بدرو دى نافارو (Pedro de Nafaro) (سنة ٩١٤هـ / سنة ١٥٠٨م) فاستولت على حجر باديس على سواحل المغرب الأقصى الشمالية [٢٢٧] . كما استولى الاسبان على وهران [٢٢٨] (سنة ٩١٥هـ / سنة ١٥٠٩م) ومن ثم اصبحت منذ ذلك التاريخ المركز الرئيسى لنشاط الاسبان فى البحر المتوسط ، بينما أصبحت مليلة [٢٢٩] مأوى للخارجين على السلطات الحاكمة فى المغرب الأقصى .

وفى (سنة ٩١٧هـ / سنة ١٥١١م) تحرك الأسطول الأسبانى المكون من (١٤) سفينة عليها (١٠,٠٠٠) جندى وهاجم ميناء بجاية [٢٣٠] واستولى عليه عنوة . ثم واصل الاسبان فتوحاتهم فى الجزائر فاستولوا على (شرشال) وغيرها من المدن الساحلية [٢٣١] .

كما استطاع الاسبان فى (سنة ٩٢١هـ / سنة ١٥١٥م) الاستيلاء على طرابلس (الغرب) وظلوا يحكمونها حتى (سنة ٩٣٧هـ / سنة ١٥٣٠م) حتى تنازلوا عنها لفرسان القديس يوحنا ، وظلت بأيديهم حتى انتزعها منهم العثمانيون (سنة ٩٥٩هـ / سنة ١٥٥١م) [٢٣٢] .

أما عن البحرية العثمانية فى شرق البحر المتوسط فى القرن (١٦)م ، فقد إهتم السلطان سليمان القانونى بالثغور المصرية فعين لها ثلاث قبودانات ، أحدهم لثغر دمياط والثانى لثغر السويس والثالث للاسكندرية . كما كانت الدولة العثمانية ترسل حاميتها من الأستانة تحت قيادة القبودانات سالفى الذكر ، وكانت تمدهم كل سنة بما يلزم من الزخائر الحربية . على أن الأمر الذى يدعو للدهشة أنه لم يكن تحت قيادة هؤلاء القبودانات أغربة حربية اللهم الاقبودان السويس [٢٣٣] .

أما عن التكتيكات البحرية فى اوائل العصر العثمانى ، فانها لم تختلف كثيرا ، اللهم الا فى الاعتماد على المدفعية [٢٣٤] ، ذلك أن السفن الحربية لم يطرأ عليها شىء

من التغيير الا عندما اكتشف البخار كقوة دافعة بدلا من الشراع ، أما عن السفن الحربية التي صنعت في مصر في العصر العثماني ، فقد كانت كبيرة الحجم عما قبل . ففي (سنة ٩٢٧هـ / سنة ١٥٢٠م) أمر أمير الأمراء خيري بك والى مصر (ناظر الدشيشة) [٢٣٥] بتشيد مركب كبير بدار صناعة بولاق بالجزيرة الوسطى (الزمالك الآن) وقد بلغ طوله مائة وعشرين ذراعا ، وكان مزودا بفرن وطاحون وصهريج للمياه العذبة ومقاعد واسطبل للخيل . [٢٣٦] كما جهز والى مصر (سنة ٩٢٨هـ / سنة ١٥٢١م) الأغربة المصرية وشحنها بالرجال وأرسلها لمحاربة مراكب الفرنج التي عادت تعيث في السواحل المصرية ، فتصدى لهم الأسطول المصرى ووجهه لهم ضربة قاضية واستولوا على بضائع بنحو خمسين ألف دينار وقبضوا على الفرنج [٢٣٧] .

واتماما للفائدة رأينا ان نفرد للاسبتارية (Hospitallers) الذين قاموا بنشاط بحرى حربي كبير استمر أكثر من قرن من الزمان من (سنة ١٣٠٦هـ إلى سنة ١٥٢٢م) في شرق البحر المتوسط ، جزءا خاصا في هذا البحث . كانت جزيرة قبرص بمثابة الوطن الجديد للصليبيين الذين فروا من بلاد الشام التي تم تحريرها تماما ، لذلك لم يجد فرسان الاسبتارية بدا من تأسيس ممتلكات مستقلة لهم في شرق بحر إيجه بعد أن مكثوا في قبرص فترة قصيرة من (سنة ٦٩١هـ / سنة ١٢٩١م إلى سنة ٧١٠هـ / سنة ١٣١٠م) .

على ان الاسبتارية استطاعوا وهم في آسيا الصغرى ما بين (سنة ٧٠٦هـ / سنة ١٣٠٦م وسنة ٧٠٩هـ / سنة ١٣٠٩م) الانقضاض على جزيرة رودس ، التي كانت من املاك الامبراطور البيزنطي إسميا فقط ، وكانت ذات موقع ممتاز ، من وجهة نظر الاسبتارية وذلك لوقوعها بين بحر إيجه وبين شرق البحر المتوسط ، فهي بذلك قاعدة مثالية لعمليات الاسبتارية الحربية . فقد استطاعوا التوسع من رودس إلى سبورادس [٢٣٨] (Sporades) الجنوبية ، وانضموا إلى الأسطول القبرصي في غاراتهم الواسعة النطاق على السواحل السورية خلال القرن ٨هـ / ١٤م .

وفى سنة ٧٧٦هـ / سنة ١٣٧٤م إحتل الاسبتارية أزمير [٢٣٩] (Smyrna) على الساحل الغربى لآسيا الصغرى ، التى كان قد استولوا عليها بعد تحالف لقوى المسيحية ، إلا أن محاولتهم للحصول على موطىء لقدم فى البر اليونانى (سنة ١٤٠٠م) باءت كلها بالفشل نتيجة لمقاومة السكان المحليين . على ان فقدان الاسبتارية لأزمير (سنة ٨١٨هـ / سنة ١٤١٥م) كان بداية لصراع بينهم وبين الاتراك استمر قرنا من الزمان .

هذا ، وقد نجح الاسبتارية فى تحويل مرفأ هاليكارناسوس (Halicarnassus) الصغير الواقع قبالة معقلهم على جزيرة كوس (Cos) إلى قاعدة لهم على البر الرئيسى يمكن استخدامها كبديل عن مرفأ أزمير الهام . لكن الأتراك العثمانيين وقفوا بالمرصاد أمام مشروعات الاسبتارية التوسعية ، فقد هاجموا رودس وكوس بقوة فى أوائل (سنة ٨٦٠هـ / سنة ١٤٥٥م) [٢٤٠] . وفى نهاية (سنة ٨٧٥هـ / سنة ١٤٧٠م) ، أُجبر الاسبتارية كالبنادقة فى قبرص قبل سنوات قليلة ، إلى الامتناع عن تحسين خطوط دفاعهم ، وتركيز اهتمامهم على تعديل قواعدهم الرئيسية . وقد تمكن الاسبتارية بفضل مناعة أسوار رودس من صد العثمانيين فى هجومهم الثانى الكبير ، فرفعوا الحصار عن رودس (سنة ٨٨٥هـ / سنة ١٤٨٠م) . وقد حضّ هذا النجاح الاسبتارية على العمل على تحسين تحصيناتهم الرئيسية ، وما أن حلت (سنة ٩٢٧هـ / سنة ١٥٢٠م) حتى كانوا قد تمكنوا بفضل مقدمهم بيير دوبوسون (Pierre d'aubusson) من تحويل رودس إلى أقوى قلعة وربما أحدثها فى العالم الغربى [٢٤١] .

على انه لم تأت (سنة ٩٢٩هـ / سنة ١٥٢٢م) حتى أكرهت رودس على الاستسلام للعثمانيين بعد مقاومة استمرت عام تقريبا ، كما أجلى الاسبتارية من جميع ممتلكاتهم فى بحر إيجه فانسحبوا إلى ايطاليا ومنها إلى جزيرة مالطة تلك القاعدة الجديدة التى منحهم اياها الامبراطور تشارلز الخامس [٢٤٢] .

ولم تقف حروب الأساطيل العثمانية فى البحر المتوسط على طرد الاسبتارية من شرق البحر المتوسط ، بل حاربت كذلك البنادقه للاستحواز على جزيرة كريت . وقد اشترك فى هذه الحرب التى شنها الصدر الأعظم أحمد كوبريللى على جزيرة

كريت الأسطول المصرى الذى أبلى فى تلك الحرب بلاء حسنا انتهى بانتصار العثمانيين وانتزاع كريت من أيدى البنادقة (سنة ١٠٨٠هـ / سنة ١٦٦٩م) [٢٤٣] .

وتعتبر معركة لابنتو (Lepanto) التى دارت رحاها بين تحالف الدولة المسيحية وبين الدولة العثمانية وذلك فى أكتوبر (سنة ١٥٧١م / سنة ٩٢٣هـ) (شكل رقم ١٥) نهاية المطاف بالنسبة للسيطرة الإسلامية على حوض البحر المتوسط وبصفة خاصة للدولة العثمانية [٢٤٤] .

وتحدثنا المراجع [٢٤٥] عن القوات التى اشتركت فى المعركة فتقول : أن القوات التى اشتركت فى المعركة هى : سفن البندقية وتتكون من (١٠٥) سفينة مسطحة المعروفة باسم شينى (galley) (لوحة رقم ١ ، ٢) سفينة وعدد (٦) من نوع الشينى (gallease) و(١٠) من نوع [٢٤٦] الغليون (galliot) . أما قوات البابا وكذا قوات سافوى وجنوة ومالطة ونابولى واسبانيا فتتكون من (٣١) سفينة مسطحة تعرف باسم الشلندى [٢٤٧] (Cheland) جمعها (شلنديات) و(٢٠) غليونا . وقد كان هذا الأسطول تحت قيادة دون جون (Donjohn) النمساوى والقائد العام للتحالف المسيحى . هذا بالاضافة إلى (٢٠٩) سفينة مسطحة و(٦) من نوع الشينى و(٣٠) سفينة بضائع (Cargo) [٢٤٨] . أما عدد ما على هذه السفن من قوات فهو كما يلى (٢٨٠٠٠) جنديا (١٢٩٢٠) بحارا و(٤٣٥٠٠) مجذفين و(١٨١٥) مدفعيين [٢٤٩] .

أما القوات التركية فكانت مكونة من (٢٢٩) سفينة مسطحة (شينى) (galleys) و(٦٠) سفينة صغيرة للحرفيين تحت قيادة على باشا [٢٥٠] . أما عدد القوات التركية فقد كانت تزيد قليلا عن عدد القوات المسيحية [٢٥١] وهى كما يلى : (٣٤٠٠٠) جنديا و(١٣٠٠٠) بحارا و(٤١٠٠٠) مجذفين [٢٥٢] أما عدد المدفعيين فكانوا (٧٥٠) فقط [٢٥٣] .

وقد بدأ القائد العام للقوات المسيحية دون جون (Donjohn) بتشكيل خط المقدمة (الصدر) وقسمه إلى ثلاثة أقسام [٢٥٤] ، يحمل كل قسم منها علم له لون خاص ، فالقسم الأوسط كان لونه أزرق ويحتوى على (٦١) شينى (galley) بما فيها سفينة القائد العام وكذا سفينة البابا [٢٥٥] وعلمه ، وسفن سافوى وعلمها وسفن

البندقية وعلمها وسفن جنوة وعلمها وكذا سفن اسبانيا وعلمها . أما الجانب الأيمن من الأسطول ، الأخضر اللون فكان يحتوى على (٥٣) سفينة بقيادة جينادرا دوريا (giannand Doria) . وعلى الجانب الأيسر من الأسطول ، كانت السفن صفراء اللون وعددها (٥٥) سفينة كان معظمها من البندقية ، وكانت تحت قيادة أجوستينو باربريجو (Agostion Barbarigo) [٢٥٦] .

وقد أمرت جميع السفن أن تكون قريبة من بعضها البعض بحيث لا تترك بينها وبين بعضها الا ما يكفى للتجديف ، وأن تكون المسافة بين كل تشكيل بحرى والآخر قرابة (٧٥) مترا . وتنقسم (galleasses) الستة إلى ثلاثة أقسام ، كل منها يتكون من مركبين ، تحت قيادة فرنسيسكو ديودو (Francesco Duodo) بحيث تكون ما يشبه المروحة على رأس كل مجموعة [٢٥٧] . وعشرة سفن شينى (galleys) وضعت فى مؤخرة سفن الاعلام الخمس [٢٥٨] لمساعدتهم . وعلى بعد ميل واحد من ذلك ، توجد فرقه المؤخرة ذات الأعلام البيضاء ويبلغ عددها (٣٠) سفينة .

أما الأسطول التركى فقد كان مقسما إلى ثلاثة فرق بالاضافة إلى فرقة احتياطية [٢٥٩] . وكان قائد الأسطول بالنيابة على باشا مركزه فى الوسط وتحت إمرته (٩٤) سفينة . أما الجناح الأيمن فكان تحت إمره محمد سيروكو (M. Sirocco) حاكم الأسكندرية ، وتتكون مجموعته من (٦٠) سفينة [٢٦٠] . والجناح الأيسر كان تحت إمره (اوغلو على) (Uluch Ali) ملك الجزائر ، ويبلغ عدد سفنه من (٦٠) سفينة . أما مجموعة سفن الاحتياطى فكانت تبلغ (٦٠) سفينة تحت إمره عمارة دراجوت (Omurat Dragut) وكانت تقف فى مؤخرة سفن على باشا [٢٦١] .

ويحدثنا سرهنك [٢٦٢] عن بداية المعركة فيقول : وفى صباح (٧) أكتوبر كان الأسطولان على أهبة الاستعداد للمعركة وكان كل منهما فى مواجهة الآخر ، فبينما كان الأسطول المسيحى فى الجنوب الغربى من ساحة المعركة ، كان الأسطول التركى فى الجهة الشرقية . وبدأ الأسطول المسيحى يجعل جناحيه نحو الشاطىء حتى يصعب على العدو تطويقهما [٢٦٣] .

وقد أنتهز الأسطول التركى فرصة هبوب رياح جنوبية شرقية مواتية له فعزم على باشا مهاجمة صدر الأسطول المسيحى . فتقدمت سفن الأسطول التركى بدفع المجاديف التى غطى على ايقاعها المنخفض صوت الرياح (٢٦٤) ، إلا أنه لسنوء الحظ ، انقطع فجأة هبوب الرياح الجنوبية الشرقية ، فوقفت شرع السفن التركية التى كانت تدفعها الرياح وفقدت طريقها ، وبدأت تتوقف (٢٦٥) .

ويكمل اندرسجفريد (Andre Siegfried) (٢٦٦) سير المعركة بالنسبة للأسطول المسيحى فيقول : وعند الظهيرة حركت نسمة من الهواء الأمواج فى صالح الأسطول المسيحى ، فلما رأى ذلك القائد (Don John) شجع رجاله وطلب منهم الاستعداد للقتال ، وبدأت المجموعة الوسطى ، الزرقاء اللون توسع جبهتها ، وكذا المجموعة اليسرى الصفراء . أما المجموعة اليمنى بقيادة جياندره دوريا (Giannandrea Doria) بدت وكأنها ابتعدت عن المجموعات الأخرى ، مما جعل على باشا يفتح نيرانه عليه على مساحات كبيرة . إلا ان القائد دون جون (Don John) سارع برمى سهامه على المجموعة التى ابتعدت وهى مجموعة جنوه ، ولكنها سرعان ما عادت إلى قواعدها وانتهى الأمر بتجمع جميع فرق المسيحية مرة أخرى (٢٦٧) .

وبينما كانت مجموعات الأسطول المسيحى تتجمع إلى بعضها ، أخذت السفن التركية تسرع فى استعمال المجاديف بغية الاسراع فى الحصول على النصر القريب ، واذا بها تفاجىء بفرق فرنسسكو ديودو (Francesco Duodo) التى لم تكن فى الحسبان ، ولم يمض وقت طويل حتى اصطدمت القوتان مع بعضهما . وقد استعملت فى هذه المعركة جميع أنواع الأسلحة البحرية والبرية على حد سواء ، فقد استعملت السهام والسيوف والخناجر التى اطلقت كالقذائف والتى اخترقت الحافات العليا لجوانب السفن (٢٦٨) . وكان أشد المعارك قسوة ، القتال الذى دار بين قوات على باشا وقوات البابا واستعملت فيه الأيدى وجها لوجه (٢٦٩) .

وبعد قتال عنيف بين الطرفين قبض على مجموعات على باشا وسحب من عليها العلم الذى يحمل (محمد رسول الله) ووضع مكانه علم عليه الصليب . ودارت بعد ذلك معارك شرسه بين الطرفين ، لعل أقساها وأهمها تلك التى وقعت

بين مجموعات (محمد سيركو Sirocco) وقوات البندقية ، والتى فقد فيها قائدها اجوستينو باربريجو (Agostino Barbarigo) احدى عينيه برميه سهم . وقد أدى ذلك إلى قدوم قوات من البندقية بسرعة ، مما أدى إلى هزيمة قوات سيروكو (Sirocco) [٢٧٠] . وهكذا سارت الأمور فى صالح القوات المسيحية ، لولا ما قام به جيناندرا دوريا (Giannandra Doria) قائد الجناح الأيمن الذى ابتعد عن المعركة بل وسمح للقائد التركى اوغلو على (Uluch Ali) أن يختبىء ومعه قرابة (٤٠) سفينة [٢٧١] .

كذلك خالفت (فرق الاعلام) أوامر القائد دوريا (Doria) وهاجمت فرق حاكم الاسكندرية ، وقد فقد فى هذه المعركة ألف من المسيحيين و(١٢) سفينة . إلا أن ما قام به النبلاء المسيحيين لم يضع سدى ، فقد خربوا (٢٥) سفينة من الأسطول التركى ، مما اضطر (اوغلو على) (Uluch Ali) إلى تركها عندما رأى سفن الأسطول المسيحى جاءت مسرعة لمساعدة حلفائهم [٢٧٢] .

وهكذا تحقق النصر للأسطول المسيحى ، ولم يقم للبحرية العثمانية بعد ذلك قائمة فقد حرق من سفن على باشا البالغ عددها (٢٢٩) (٨٠) سفينة وأسر (١١٧) سفينة . أما السفن الصناعية الصغيرة البالغ عددها (٦٠) سفينة فقد فقد منها (٢٧) وأسر (١٣) سفينة [٢٧٣] . هذا فضلا عن فقد قائد الأسطول التركى على باشا وجميع قواده الآخرين فيما عدا اوغلوا على (Uluch Ali) . كذلك فقد الأسطول التركى (٤٠٫٠٠٠) جنديا وبحارا وأسر (٨٠٠٠) ، كما حرروا (١٠٫٠٠٠) بحارا مسيحيا كانوا أسرى الأسطول التركى ، وكانوا مقيدين فى مقاعد التجديف فى السفن التركية [٢٧٤] . أما الأسطول المسيحى فقد فقد منه (٧٦٥٦) بحارا بما فيهم اجوستينو باربريجو (Agostino Barbarigo) الشرير ، وجرح (٧٫٧٨٤) بحارا [٢٧٥] .

على أن أهمية معركة (لابنتو) لم تقتصر على انها قضت على سيطرة الامبراطورية العثمانية وقوة نفوذها فى البحر المتوسط فحسب ، بل لانها كانت نهاية للأساطيل البحرية المكونة من السفن الخفيفة ذات المجاديف . وهكذا أخذت المجاديف تتلاشى شيئا فشيئا ، ولم يعد يستخدمها إلا قرصان البربر فى البحر المتوسط الذين استمروا حتى أوائل القرن ١٩م فى شمال افريقية [٢٧٦] .

وهكذا نستطيع القول بأن فن القتال البحرى فى البحر المتوسط ظل قرابة تسعة قرون لم تطرأ على أداته الرئيسية ، وهى السفن تطور يذكر ، فقد ظلت تعتمد فى حركتها على المجاديف مع الشراع .

كما أن المهارة فى استخدام الريح كانت من أهم أسباب النصر فى المعارك ومن أهم الأمثلة لذلك معركة (لابنتو) البحرية التى تعتبر صورة جلية للمعركة البحرية المعقدة لكثرة السفن والقوات المشتركة فيها ، مما جعل سيطرة كل طرف من الأطراف على سفنه ، فضلا عن تحريكها حتى تتخذ مواضعها القتالية المناسبة ، يتطلب مهارة ومقدرة فنية فائقة .

وبرغم التطور الكبير الذى بلغه فن القتال البحرى ، وذلك من حيث الاساليب الفنية التى اتخذت فى المناورة ، إلا أننا نستطيع القول بأن جميع المعارك البحرية التى دارت رحاها طوال العصور الوسطى ، كانت تتم بجوار الشواطىء ، بل لا نكون مبالغين اذا قلنا ، أن فن القتال البحرى ، طوال تلك العصور كان يعتمد إلى حد بعيد على تضاريس ساحة القتال .

واذا كان تطور بناء السفن الحربية فى العصور الوسطى بطيئا ، إلا أن التقدم الذى وصلت اليه الاسلحة الحربية التى استخدمت فيها كان كبيرا وعظيما وذلك بعد اختراع النار الأغريقية التى أثرت تأثيرا كبيرا على سير المعارك البحرية . كما ترتب على اختراع النار الأغريقية استخدام المكاحل بعيدة المدى ، هذا فظلا عن ظهور البنادق ، مما جعل الرمى الذى كانت تبدأ به المعارك البحرية يصبح على مسافات أبعد وفى نفس الوقت ذا تأثير اكبر ، لكن كل هذا لم يغن عن القتال المتلاحم .

الهوامش

(١) Guisepp Fioravanzo: A History of Naval Tactical Thought (Trabs. by. arthur Holst).
Fracaroli 's book: From the Piroque to the aircraft Carrier.

(٢) ولد بروكوبيوس فى مدينة قيصرية حوالى سنة ٥٦٢م وهو مؤرخ بيزنطى إهتم بالتاريخ العسكرى ، رافق ليزاريوس فى حملاته ، ثم قاد الأسطول الامبراطورى . وقد برع فى وصف الأحداث الحربية فى الحرب البيزنطية الفارسية على وجه الخصوص .
Procopius: Persian Wars

(٣) مخطوط (كتاب أنيق فى المناجيق) تأليف ابن ارنبغا الزردكاش سنة ٨٦٧هـ ، مخطوط (كتاب تحفة المجاهدين فى العمل فى الميادين) تأليف لاجين بن عبد الله الذهبى الحسامى المعروف بالطرابلسى سنة ٧٣٨هـ ، عبارات النفط (المحتاج إليها فى الحروب) لم يعلم مؤلفه ، ومخطوط (غنية الطلاب فى معرفة الرمى بالنشاب) تأليف علاء الدين طينبغا الأشرفى اليونانى سنة ٧٩٧هـ ، مخطوط (كتاب الحراقات) تأليف أبو سعد بن سهل ، مخطوط (العز والمنافع للمجاهدين فى سبيل الله بآلات الحرب والمدافع) تأليف الرئيس ابراهيم بن أحمد بن غانم بن محمود بن زكريا الأندلسى المشهور بالرباش .

(٤) وفى مجال الحديث عن اختلاف فن القتال البرى عن فن القتال البحرى ذكر الحسن بن عبد الله «أنه ليس بالسهل فى قتال البحر الهرب والفرار أو الاستتار بالحصون والأسوار» . (الحسن بن عبد الله : آثار الأول ص ١٩٥) . وفى موضع آخر ذكر الحسن بن عبد الله أن التكتيكات البحرية المملوكية مازالت متأثرة بالتكتيكات البرية فقال : «تبرز مراكب خفيفة سريعة تُظهر للعدو الانهزام ، فاذا تبعتهم مراكب العدو ، هُجم على العدو بمجموعة أخرى من المراكب» (حسن بن عبد الله : آثار الأول ص ١٧٨) . وهو تكتيك يصعب تحقيقه فى معركة بحرية ذلك أن مجال الرؤية واضح فيسهل على العدو أن يرى المجموعة المكلفة بالمباغتة لأن البحر ليست به حجب تمنع الرؤية . لذلك فان هذا الأسلوب لا يمكن استخدامه إلا مع وجود جزر أو هيئات بحرية يمكن الاختفاء وراءها ، كما وأن هذا التكتيك هو ذات التكتيك الذى يعرف باسم تكتيكات الكمائن وهو أسلوب تمرس فيه العرب والسلاجقة والمماليك على وجه الخصوص . وبرغم علو كعب حسن بن عبد الله فى التأليف فى المجال الجرى الحربى فى زمانه إلا أنه لم يستطع اعطاء التكتيكات البحرية طابعها فميدانها يختلف إختلافاً كبيراً عن البر ، فجاء حديثه فى الموضوعين متعارضاً ، وكان ميالاً إلى اعتبار فن القتال البحرى استمرارا لفن القتال البرى .

(٥) بدأ عصر المجاديف من معركة سلاميس سنة ٤٨٠ ق.م واستمر طوال العصور الوسطى حتى معركة لابنتو البحرية سنة ١٥٧١م . أما عصر الشراع فقد بدأ بعد الكشوف الجغرافية فى القرن السادس عشر وانتهى بعد معركة الطرف الأغر البحرية سنة ١٨٠٥م ، واختفت الأشرع فى منتصف القرن التاسع عشر .

Guiseppe Fioravanzo: A History of Navol Tactical Thought PP. 41869.

(٦) أدلى الدكتور عبد الرؤوف عون بدلوه فى هذا الأمر فقال بعدم امكان استخدام الأسلحة الثقيلة فى الحروب البحرية كالمناجيق والعرادات لأنها ثقيلة الحمل على السفن (عبد الرؤوف عون : الفن الحربى فى صدور الإسلام ص ٢٦٤) . لكننا نجد الكثير من السفن الحربية الإسلامية والغربية المسيحية قد استخدمت المناجيق كعنصر رمى بعيد المدى فى المعارك البحرية لتدمير السفن العدو وهو من الأسلحة الثقيلة .

(٧) Helene Ahrweller: Byzance et la Mer (Paris 1966)

Grousset: L'Empire du Levant (Paris 1949).

(٨) Giuseppe Fioravanzo: A History of Naval Tactical Thought P.5 (Translated by Arthur. W. Holst).

(٩) André Siegfried: The Mediterranean P. 48-49 Translated From French to English by (Doris Hemming).

(١٠) A. Termier: Problems of Mediterranean geology P.94.

(١١) A. Termier: Problems of Mediterranean geology P. 168-169.

(١٢) Giuseppe Fioravanzo: A History of Naval Tactical Thought. P 51.

(١٣) A History of Naval Tactical thought. P. 51.

(١٤) التشكيل الدائرى ليس هيئة أو شكل يُتخذ فى المعارك البحرية فقط بل أُستخدم من قبل فى المعرك البرية فى مواقف الدفاع حتى نُعت هذا الصنف من الدفاعات البرية بالدافع الدائرى . وتطور فتحور الشكل الدائرى ليكون مربعا أو مستطيلا أُستخدم كثيرا فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد .

(١٥) Giuseppe Fioravanzo: A History of Naval Tactical Thought. P.51.

(١٦) Fracaroli: From the Pirogue the aircroft carrier.

(١٧) A History of Naval Tactical thought P.61.

(١٨) Guisepp: op. cit P.53.

(١٩) C. H. Becket: The expansion of Saracens. T. II. P. 329.

(٢٠) E. W. Brooks: The Struggle with the Saiacens. vol V P. 115.

(٢١) تحكمت بيزنطة فى الطرق البحرية المؤدية إلى القسطنطينية بفضل قواعدها البحرية فى غرب البحر المتوسط ، ولم تثر الغارات البحرية الإسلامية قلق الدولة البيزنطية فى أول الأمر ، فقد استمرت تلك الغارات محلية تؤثر فقط على الأقاليم التى تهاجمها فقط ، أما الغارات الإسلامية البرية فهى التى كانت تثير قلق القسطنطينية .

M. Cheira: La lutte entre Arabes et Buzantins (la Conquétte et l'organistion de frontieres aux VIIe - VIII Seicle).

(٢٢) P. Lemerle: Les repercussions de la Crise de L'Empire d'orient au VIII Siecle sur les Pays d'Occidental. P. 713 (Spoleto 1958).

(٢٣) هدد نشاط الأسطول الإسلامى الذى يبحر من سوريا والاسكندرية النشاط التجارى للأسطول البيزنطى منذ القرن الأول الهجرى / نهاية القرن ٧م مما أثر على رخاء عدد كبير من مدن بيزنطة الساحلية والجزر وخاصة بحر ايجه .

(٢٤) AHrwiler: L'asie Mineure et les invasions arabe. P.I.1-32 (1962).

(٢٥) A. Pertnsi. La Formation des thémes Byzantin P.58.
J. Bury: Naval Policy P.24.

(٢٦) من المعروف ان المسلمين حققوا انتصارات منذ بداية القرن ٨م / ٢هـ امتدت من طوروس على حدود املاك بيزنطة إلى شمال افريقية ، مما كان بمثابة حزبة قاضية ضد الجيش والقوة العسكرية البيزنطية . كما كان ظهور المسلمين فى البحر نتيجة لتفوقهم فى البر وكان اسطولهم سلاحا يساند جيشهم على البر مما كان يهدد آسيا والقسطنطينية . وفشل الأسطول البيزنطى فى وقف الزحف الإسلامى البرى ولم تعد وسائل الدفاع البحرى القديمة مجدية . كذلك كانت الغارات الإسلامية ضد جزر شرق البحر المتوسط وظهور السفن الإسلامية مما اصبح يمثل خطرا جسيما بالنسبة للامبراطورية وشعبها .

(٢٧) Ch. Diel: L'onigine du regime des thémes, dans Etudes Byzantines. P.280 (Paris 1905).

(٢٨) Helene Ahrweller: Byzance et la Mer. P.21.

(٢٩) ويتكون من النظام التالى :-

أ - الأسطول الامبراطورى المركزى المكون من سفن ثقيلة تقوم القسطنطينية بتسليمها وتزويدها بالجنود . وهو اسطول هجومى مكلف بحماية الامبراطورية .

ب - الأسطول الاقليمى المكون من سفن خفيفة ويعسكر فى الأقاليم التى يهددها الأعداء وجنوده من سكان هذه الأقاليم وكانت مهمته حماية السواحل وكان هذا الأسطول دفاعيا .

جـ - أسطول يتكون من سفن من مختلف الأنواع مزودة بالنار الاغريقية وجنودها هم أبناء المناطق التى يعسكر فيها ومهمته حماية الأقاليم ومهاجمة الأساطيل والقواعد الأجنبية أى انه اسطول اقليمى كامل ومستقل عن اسطول القسطنطينية .

R. Guilland: L'expédition de Maslama contre Constantinople (Al Macchrig Beyrouth 1955) P. 112.

(٣٠) Helene Ahrweller: Byzance et la Mer. P. 34.

(٣١) المالكى ص ١٠ ، ١١ ، ١٥ ، المغرب الكبير ص ١٥٦ .

(٣٢) المالكى ص ١٧ .

(٣٣) النجوم الزاهرة جـ ١ ص ١٣٨ .

(٣٤) Bury J. B: Byzantine Naval Poliey. P. 39.

(٣٥) Bury. J. B: History of the Later Roman Empise. P. 231.

(٣٦) Gaston Wiet: Histoire de la Nation Egyptienne. T IV L'Egypte arabe. P. 231.

(٣٧) برغم الاختلاف حول مكان معركة ذات الصوارى البحرية والتى وردت فى المراجع الأجنبية باسم فونيكه (Phenicus) . فاننا نرجح ان يكون موقع هذه المعركة بالقرب من الاسكندرية إلى الغرب منها ، وليس سواحل الشام أو آسيا الصغرى .

انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٩١ ، سعاد ماهر : البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ص ٨٤ .

محمد عبد الهادى شعيرة : الصراع بين العرب والبيزنطيين ص ١٠٢ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى جـ ١ ص ١٦٣ .

Kneimer: Orient under the Caliphs. P.354.

Bury: History of the later Roman Empire. II. P.290.

(٣٨) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٢٧٢ .

(٣٩) الطبرى : تاريخه جـ ٥ ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٤٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦٠ .

(٤١) Kremer: Orient under the Caliphs P. 358.

Bury: History of the later Roman Empire II P. 290.

ابراهيم العدوى : قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط ص ٤٩ .

(٤٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٣ ص ٤٨ .

(٤٣) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ١٢٧ .

(٤٤) المقريزى : السلوك جـ ١ ص٢٧٣ .

(٤٥) وهناك بعض القادة العسكريين ، كدريد بن الصمة ، الذى اعترض على ان هوزان قد اصطحبت معها نساءها فى غزوة حنين (سيرة بن هشام جـ ١ ص ١٢٩)

(٤٦) السلوك جـ ١ ص ٢٧٣ .

(٤٧) السلوك جـ ١ ص ٢٧٢ .

(٤٨) لقد كان الرمى فى ذلك الوقت بالمقلاع ، انظر كتاب

Charles. H. Ashdown: Armours and Weapons in the Middle ages. P.50 (London 1975).

(٤٩) يظهر فى هذه الصورة تشكيل النسقين القتالى ، كذلك أورد المقريزى فى وصفه ما يدل على اتباع اسلوب النسقين .

Giuseppe Fioravanzo: A History of Naval Tactical thought. P.61.

(٥٠) ملحوظة : رمى الحجارة يكون غالباً بالمقاليع ، ومع ذلك لم يذكرها المقريزى .

(٥١) السلوك جـ ١ ص ٢٧٢ .

(٥٢) Charles H. Ashdoun. Armour and Weapon in the Middle ages. P.94.

(٥٣) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٢٧٢ .

(٥٤) A History of Naval Tactical thought. P.50.

(٥٥) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ١٤٠ (تحقيق صلاح المنجد سنة ١٩٥٦) قارن بين ما ذكره المقريزى وما جاء فى كتاب البلاذرى وما جاء فى الصورة .

(٥٦) Bury: Buzantine Naval Policy. P. 39.

(٥٧) Runciman: Buzantine Civilzation P.12.

(٥٨) Bury: History of the Later Roman Empire P. 7,8.

(٥٩) جزيرة قريفوس وردت فى المصادر العربية باسم (أرادوا) .

(٦٠) Brehir: Vie et Mort de Byzance P.63 (1949) -

(٦١) المرجع السابق ص ٦٣ .

(٦٢) Brehier, L: Vie et Mort de Byzance. P. 65.
Bury: op. Cit, P.310.

(٦٣) Gibbon: The Roman Empire. P.701.

(٦٤) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٣٤٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة جـ ٣ حوادث سنة ٣٥٣هـ .
Bury: History of the Later Roman Empire. P. 321.

(٦٥) Gibbon: op. cit. P. 702.

(٦٦) **Runciman: Byzantine CIvilisation. P.130.**

(٦٧) **Bury: History of the Later Roman Empire P. 321.**

(٦٨) هذا العدد منالسفن ذكرته المراجع الأجنبية . وهو عدد مبالغ فيه جدا .

(٦٩) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٣٢ ، ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع جـ ١ ص ٢١٩ .

(٧٠) Vasiliav: Byzantine et les arabes vol. I P.63.

(٧١) Bury: op. cit. P.402.

(٧٢) النجوم الزاهرة جـ ٣ ض ١١٥ ، Ali F: Muslim Sea Power. P. 117.

(٧٣) ويجدر بنا ونحن نتناول بالبحث والدراسة الغزو البحرى الإسلامى للقسطنطينية فى العصر الأموى ، منذ عهد معاوية بن أبى سفيان ، ان نذكر التحصينات الحربية التى أقامها البيزنطيون حول القسطنطينية ومن ثم استعصى الاستيلاء عليها من قبل المسلمين . تذكر المصادر التاريخية ان البيزنطيين أقاموا حلقة محكمة من الأسوار والحصون حول القسطنطينية ، فشيدوا على الجانب البرى منها الممتد من البسفور إلى القرن سوراً متينا ، واشتمل هذا السور على جدارين أحدهما ملتصق تماما ومباشرة بالمبانى ويكون الخط الدفاعى البرى الأول وتعلوه الأبراج والأجراس ، والجدار الثانى الخارجى أكثر ارتفاعا من الجدار الداخلى ، ويحيط به خندق عرضه (٦١) قدما لعرقلة القوات المعادية من الهجوم على العاصمة . وهكذا أصبح على امتداد القرن الذهبى وبحر مرمرة أسوار بحرية تتصل بالسور الذى يكون خط الدفاع البرى عن العاصمة .

(ابراهيم العدوى : قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط ص ٥٧) .

(٧٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٤ ، النجوم الزاهرة جـ ١ ص ١٨٣ .

Finlay: History of Greece: vol. I P.387.

(٧٥) الطبرى جـ ٢ ص٩٢٩ ، النجوم الزاهرة جـ ١ ص ١٧٦ .

Bury: History of East Roman Empire From the Fall of Irene to the accession of Basil I (702-867 A.D. London 1912).

(٧٦) صابر محمد دياب : سياسة الدولة الإسلامية فى حوض البحر المتوسط من أوائل القرن ٢هـ حتى نهاية العصر الفاطمى ص ٧٣ .

Hill: History of Cyprus vol. I P. 159.

Bury: History of East Roman Enpire vol.(2) P. 340.

(٧٧) Hill: Ibid. vol I P.160.

(٧٨) أما عن الجزر والبلدان التى استولى عليها المسلمون فى البحر المتوسط ، فهى جزيرتى قبرص ورودس اللتان كان لهما أكبرالأثر فى تدعيم الحرية الإسلامية فى شرق البحر المتوسط ، فقد اتخذها المسلمون قاعدتين هامتين ، وجهوا منها الحملات على املاك الدولة البيزنطية . وقد كانت قبرص قاعدة للأسطول الإسلامى فى الزاوية الشمالية الشرقية من حوض البحر المتوسط ، أما رودس فقد اكتسبت أهميتها من قربها الشديد لسواحل الدولة البيزنطية ، ومن ثم فقد اتخذها المسلمون قاعدة بحرية ، واقام فيها معاوية حامية ثابتة ، ونظرا لقربها من أراضى الدولة البيزنطية ، زودها معاوية بأسطول مقيم على اتصال بالأساطيل الإسلامية الأخرى بهدف شل حركات أساطيل العدو (البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٧ ، Muir: The Caliphate P. 134) .

(٧٩) ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ص ١٠٨ .

(٨٠) Ency. of Islam, vol.(4) P. 600.

(٨١) تعد طرابلس ميناء دمشق ومفتاح حياتها الاقتصادية ، وهى مدينة منيعة وميناءها كبير يتسع لعدد كبير من السفن ، وقد امتازت طرابلس بأن البحر يحيط بها من ثلاث جهات وتصل أمواجه إلى أسوارها ، على حين يحيط بأسوارها خندق عظيم . وقد زاد فى متعة هذه المدينة وسهولة وصولها على الامداد ، وجود أربع جزر صغيرة تقع كل واحدة منها وراء الأخرى فى مياه البحر القريبة منها (البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٣ ، Le Strange: Palastine under the Muslims P. 248.)

(٨٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٤ .

(٨٣) Muir: The Caliphate. P. 134.

(٨٤) Vasiliev: Histoir de L'Empire Byzantin. Tome II P. 282.

(٨٥) Bury: History of East Roman Empire. vol. (2) P. 310.

(٨٦) Ali. F.: Muslim Sea Power. P 117.

(٨٧) النجوم الزاهرة جـ ١ ص ١١٩ ، ابن خلدون : المقدمة جـ ٤ ص ٢١١ .

(٨٨) Ency of Jslam. vol. (2) P. 834.

(٨٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٩٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٧٢ .

(٩٠) السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى جـ ١ ص ٧٢ ، حسين مؤنس : المسلمون فى حوض البحر المتوسط ص ٦٦ .

(٩١) معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٣٢ ، ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع جـ ١ ص ٢١٩ .

(٩٢) ابن عذارى : البيان جـ ١ ص ٣٩ ، ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٥ ، ابن الأثير : الكامل ص ٢١٩ .

(٩٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢١٧ .

(٩٤) Bury: History of East Roman Empire. vol. 2 P. 295, Vasiliav: Byzantine et les Arabe. vol. I P.63.

(٩٥) المالكى (أبو بكر عبد الله بن أبى عبد الله) : رياض النفوس ص ٣٣ .

(٩٦) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب (باريس ١٩١١) ص ٣٨ ، عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٢٤٣ .

(٩٧) Charles Diehl: Histoir du Moyen âge, t. III, Le Monde Oriental de 395 a 1081. P. 207.

(٩٨) جاء فى تاريخ هذه الحملة أنها كانت سنة ٨٣هـ / سنة ٨٤هـ فى عهد والى افريقية موسى بن نصير الذى تولى قيادة الحملة ، وهذا خطأ ذلك أن الوالى فى ذلك الوقت كان حسان بن النعمان .

(٩٩) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٣٤٥ .

(١٠٠) المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ١٩١ .

(١٠١) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٩٢ .

(١٠٢) ولز : معالم تاريخ الانسانية جـ ١ ص ٤٤٢ (ترجمة عبد العزيز حاويد) .
(١٠٣) ابراهيم العدوى : قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط ص ١٨٦ .

(١٠٤) ما حدث فى معركة ذات الصوارى كان اسلوبا مختلفا عن ذلك انهم ربطوا السفن ببعضها .

(١٠٥) الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ص ١٩٦ .

(١٠٦) لقد كانت الخلافة العباسية منذ نشأتها حتى سنة ٢٣٢هـ تولى شئونها كاملة الخلفاء وكان الوزراء مجرد موظفين للتنفيذ ، ومن ثم عرفت بوزارة التنفيذ ، فلما ضعف الخلفاء بعد ذلك فوضوا للوزراء ادارة الدولة فعرفت الوزارة باسم (وزراة تفويض) .

(١٠٧) Vasiliev: Byzance et les Arabes I, 67-71.

(١٠٨) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية (مترجم) ص ١٧٠ .

(١٠٩) نفسه ص ١٧٠ .

(١١٠) ويجب الاشارة هنا إلى أهل المغرب الأصليين قد تميزوا بنشاطهم البحرى الذى يظهر فقط عندما تنقطع صلته السياسية بغيره ويتحرر من التبعية للخلافتين الأموية والعباسية فيمارسون هذا النشاط بهمة لا يباريهم فيها أحد إلا الشعوب المطلة على حوض البحر المتوسط من الجهة الشمالية . وقد بلغ هذا النشاط الذروة فى القرن الثالث الهجرى عند احتلالهم صقلية واقريطش (كريت) ومالطة وقورشيقه (كورسيكا) .

(١١١) فازيلييف : العرب والروم ص ٦١ (ترجمة شعيرة) .

(١١٢) أرشيبالد لويس : القوى البحرية ص ٢٢٤ .

(١١٣) لقد كان الأسطول يتألف من (٢٠٠٠) سفينة حربية و(١٣٦٠) سفينة مؤن وامدادات ، وكان احجام بعض السفن البيزنطية كبير للغاية ، ومنها ما كان مزودا بعدد كبير من المجاديف يصل فى السفينة الواحدة إلى (٢٥٠) مجدافا موزعة على أربعة صفوف ، ومنها ما كان مصنوعا بطريقة خاصة يجعلها صالحة لانزال الجند على الساحل . وجعل الامبراطور (رومانوس الثانى) قيادة هذا الأسطول الضخم للقائد نقفور فوقاس . (هذا ونود أن نضيف هنا إلى أن الأسطول البيزنطى الضخم لم يقم بمعركة بحرية وانما قام بانزال جيش برى ، كما أن القائد نقفور فوقاس كان قائد الجيش البرى) .

(١١٤) النويرى : نهاية الارب جـ ٢٢ ص ٢٤١ ، ابن الأثير : الكامل ص ٢٢٢ .

(١١٥) Diehl: Histoir du Moyen age. T III Le Monde Oriental de 395-1081 P. 462.

(١١٦) الادريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ص ١١١ .

(١١٧) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١١٦ .

(١١٨) الادريس : ص ١٠٧ .

(١١٩) أبو الفداء : ص ١١٢ .

(١٢٠) البكرى : ص ٨٣ .

(١٢١) العمرى : وصف افريقية والمغرب والاندلس ص ٦ (تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب) .

(١٢٢) ابن عذارى جـ ١ ص ١٥٤ ، البكرى : ص ٦٥ ، الادريسى ص ٨٩ .

(١٢٣) الادريسى : ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، الصنبى ص ٤٢٦ .

(١٢٤) عبد المنعم السبتى الحميرى : الروض المعطار فى اخبار الاقطار ص ٣ (نشر وترجمة ليفى بروفنسال) .

(١٢٥) الادريسى : ص ٢٠٠ ، الحميرى ص ١٨٣ .

(١٢٦) Levi Provençal: Histoire de L'Espagne Musulmsne T. III P. 109.

(١٢٧) المقدسى : احسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم ص ١٥ ، الحميرى : ص ٣٧ .

(١٢٨) ابن حيان : المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس .

(١٢٩) Levi-Provençal: Histoire. T III P. 109.

(١٣٠) لفظ القرصنة مشتقة من كلمة (Course) وتعنى لصوص البحر .
Coindreau, Rager: Les Conadnes de Sole (Paris 1948).

(١٣١) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٦٠٥ .

(١٣٢) ابن منكلى : الاحكام الملوكية جـ ١ ص ٣٩ (تحقيق عبد العزيز عبد الدايم) .

(١٣٣) Ostrogorskey: History of Byzantine State. P. 293.

(١٣٤) Kruger: Genoese Trade with N.W. africziu the 12 th century P. 378.

(١٣٥) ارسيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ص ٣١٥ .

(١٣٦) Vasilieu: Byzance et les arabes P. 410.

(١٣٧) Brehier. Vie et Mort de Byzance. P. 206.

(١٣٨) Stevenson: The Crusaders in the East. P. 82.

(١٣٩) المرجع السابق ص ٨٤ .

(١٤٠) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٥٢٣ .

(١٤١) المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ٣٦٨ .

(١٤٢) المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ١٩٢ .

(١٤٣) ماجد : نظم الفاطميم ورسومهم ص ٢٢٦ .

(١٤٤) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٩٧ .

(١٤٥) البحرية فى مصر الإسلامية ص ٢٨٣ .

(١٤٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٤٨٣ .

(١٤٧) المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ١٩٢ .

(١٤٨) مخطوط (تحفة المجاهدين فى العمل فى الميادين) تأليف لاجين بن عبد الله الذهبى المعروف بالطرابلسى .

(١٤٩) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٤٠ .

(١٥٠) المقريزى : السلوك جـ ٣ ص ١٩٤ .

(١٥١) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٤٣ .

(١٥٢) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٥٣ ، مخطوط (تبصرة أرباب الالباب فى كيفية النجاة فى الحروب) تأليف مرضى بن على بن مرضى الطرسوسى .

(١٥٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٤٣ .

(١٥٤) أحمد رمضان : الرحلة والرحالة ص ٢٧١ .

(١٥٥) ابو شامة : كتاب الروضتين جـ ١ ص ٢٣٥ .

(١٥٦) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٧٠هـ .

(١٥٧) ابن واصل : مفرج المروب جـ ٢ ص ١٢ .

(١٥٨) الشينى : بالفرنسية (Galére) وهى أقدم أنواع السفن الحربية التى تألف منها الأسطول الرومانى ، وفى العصور الوسطى كانت الشين من أهم القطع التى يتألف منها الأسطول الإسلامى لانها كانت أكبر السفن وأكثرها استعمالا لحمل المقاتلة للجهاد . وكانوا يقيمون فيها ابراجا وقلاعا للدفاع والهجوم وكان متوسط ما يحمله الشينى الواحد (١٥٠) رجلا ويجدف بمائة مجداف . وقد ظل اسم شينى متداولا فى الملاحة حتى أيام الدولة العثمانية (دوزى جـ ١ ص ٧٨٢) .

(١٥٩) التى أطلق عليها ابو شامه اسم (قسم الفرنج) كتاب الروضتين جـ ٢ ص ١٣ ، محمد بن منكلى : مخطوط (الحيل مع الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب) .

(١٦٠) سيد على الحريرى : الأخبار السيئة فى الحروب الصليبية ص ١٣٦ .

(١٦١) الغراب : جمعها أغربة وغربان ، وهو نوع من السفن أخذه العرب عن القرطاجنيين والرومان من أمم البحر المتوسط وبقيت حتى العصر العثمانى . وسميت بهذا الاسم لان مقدمه يشبه رأس الغراب أو الطائر ويمثل فى الماء الطير فى الهواء . وكان الغراب يحمل الغزاة ويسير بالقلع ، كما كان يسير بعدد من المجاديف لا يتجاوز (١٨٠) مجدافا (دوزى جـ ٢ ص ٢٠٤ ، البحرية المصرية ص ١٢٣) ويقول ابن

شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية جـ ٣ ص ٢٣٠) : ومن خصائصه (أى الغراب) انه مزود بجسر من الخشب يهبط على مركب العدو ويمد على ظهره الجند فيقاتلون بالأساليب البرية .

(١٦٢) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٧٦هـ ، Guilloume de Tyre. P. 1064
ابو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ١٣ ، مخطوط (كتاب انيق فى المناجيق تأليف ابن ارنبغا الزردكاش .

(١٦٣) المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ١٩٤ ، مخطوط تحفة المجاهدين فى العمل فى الميادين تأليف الطرابلسى .

(١٦٤) المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ١٩١ .

(١٦٥) Lane-Poole: Egypt in the Middle ages. P. 358.

(١٦٦) السلوك جـ ٢ ص ١٩٤ .

(١٦٧) ابن منكلى : الأحكام الملوكية ص ٧١ ، ابن المنكلى : الأدلة الرسمية ص ٤٢ .
Oman (Charles: A History of the art of War. vol. I P. 209.

(١٦٨) النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٨ .

(١٦٩) محمد بن منكلى الناصرى : مخطوط الحيل فى الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ، الأحكام المملوكية جـ ١ ص ٣٩ .

(١٧٠) ابو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٤ ص ٢٣ ، السلوك جـ ١ ص ٧٤٧ .

(١٧١) السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام ص ٢٩٤ .

(١٧٢) السلوك ج ٤ ص ٦٨٣ ، النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٦٨٤ .

(١٧٣) علاء الدين طنبغا : مخطوطة غنية الطلاب فى معرفة الرمى بالنشاب ، عبد اللطيف ابراهيم : وثيقة الأمير يشبك بن مهدى الدودار ص ٢٨ .

(١٧٤) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٦٨ ، ابن منكلى : الأحكام المملوكية جـ ١ ص ٤١ .
جمال الشيال : تاريخ مدينة الاسكندرية ص ١٤٩ .

(١٧٥) زردكاشا مكونة من كلمتين (زرد) أى السلاسل المشبكة (دكاش) صانع .

(١٧٦) وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم (٨٨٩) أوقاف .

(١٧٧) Guiseppe Fioravanzo: A History of Naval Tactical thought P. 60.

(١٧٨) حدثت معركة ملوريا (Meloria) البحرية فى ٦ أغسطس سنة ١٢٨٤م ومنها هزمت مجموعة بحرية من جنوة بقيادة اوبرتو دوريا مجموعة بحرية أخرى من بيزا تحت قيادة القائد البندقى ألبرتو موروسينى (Alberto Morosini) . وقد أدت هذه المعركة البحرية إلى إندحار بيزا البحرية . أما عن التكتيك الذى اتبعه دوريا (Doria) فقد بدأ بالهجوم بجزء من أسطوله ، وتلى ذلك بالهجوم بباق الأسطول الذى كان يحتفظ به كاحتياطى على مسافة معلومة .

(١٧٩) A History of Naval Tactical thought. P.60.

(١٨٠) A History of Naval Tactical thought. P. 60.

(١٨١) النويرى : الالمام جـ ١ ص ٣٢٦ ، المقريزى : السلوك جـ ٣ ص ١٠٣ .

(١٨٢) سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٥٨ .
A.S. Atiya: The Crusade in the Later Middel ages P. 353.

(١٨٣) النويرى : الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والأمور المقضية فى واقعة الاسكندرية (مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم (٣٩٤٢) تاريخ ج أ ق (٥١٦)) .

(١٨٤) Hill (G): A History of Cuprus. II P. 331.
سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية .

(١٨٥) الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان جـ ١ ص ٩٥ (تحقيق حسن حبشى) .

(١٨٦) السلوك جـ ٣ ص ٥٦٢ .

(١٨٧) ابن حجر العسقلانى : ابناء العمر جـ ١ ص ٤٥٤ ، الصيرفى : نزهة النفوس جـ ١ ص ٣٦٢ .

(١٨٨) أحمد دراج : المماليك والفرنج ص ٢٢ ، المقريزى : السلوك جـ ٣ ص ١١١٤ .

(١٨٩) أحمد دارج : ص ٢٣ ، المقريزى : السلوك جـ ٤ ص ١٩٤ ،
Ziad: The Mamluk Conquest of Cyprus in the Fifteenth Century P.91.

(١٩٠) المقريزى : السلوك جـ ٤ ص ٦٦٥ ، النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٥٧ .

(١٩١) خليل بن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ١٣٨ .

(١٩٢) Ziada: The Mumluk Conguest of Cyprus in the Fifteenth century. P. 127.
السلوك جـ ٤ ص ٦٦٨ النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٥٨٠ .

(١٩٣) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان ح ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٣ .
ابن حجر العسقلانى : أبناء العمر بأبناء العمر جـ ٣ ص ٣٤٦ .

(١٩٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٣٢ .

(١٩٥) Gibbon: The Foundation of the Ottoman Empire P. 48.
سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٣٣ ، العصر المماليكى ص ١٧٠ .
جمال سرور : دولة بنى قلاوون ص ٢٤٤ .

(١٩٦) محمد مصطفى زيادة : المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة قبرص ص ١١٢ .

(١٩٧) A. S. Atiya: op.cit. P.473

(١٩٨) العلايا ميناء صغير بالساحل الجنوبى لآسيا الصغرى ، ص ١٠٦ .

(١٩٩) محمد مصطفى زيادة : المحاولات الحربية ص ١١٤ .

(٢٠٠) محمد مصطفى زيادة : الأساطيل المصرية وحاولة الاستيلاء على جزيرة رودس ص ١٠٦ .

(٢٠١) النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٢٢ .

(٢٠٢) . Lane-Poole: op. Cit. P 329.

(٢٠٣) السخاوى : القبر المسبوك ص ٨٧ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٣٦ .
السيوطى : غزوات قبرص ورودس ص ١٦ .

(٢٠٤) الانصارى : تفريج الكروب فى تدبير الحروب ص ٤١ .

(٢٠٥) محمد بن منكلى : الأحكام الملوكية جـ ١ ص ٤٢ ، الحسن بن عبد الله : آثار الأول ص ١٩٦ .

(٢٠٦) نورمان بيتر : الامبراطورية البيزنطية ص ١٩١ .

(٢٠٧) ابن منكلى : مخطوطة الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية ق (٣٥) ، الكرودى : كشف الغمة ق (٢٣) .

(٢٠٨) بكتوت الرماح : نهاية السول والأمنية ق (١٨٢) ، (١٨٣) .

(٢٠٩) ابن منكلى : الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية ق (٩) .
ابن منكلى : التدبيرات السلطانية فى سياسة الصنايع الحربية ق (١٢) .
السبكى : معيد النعم ومبيد النقم ص ٤٧ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٣٤ .

(٢١٠) ابن منكلى : الأحكام الملوكية جـ ١ ص ١٣ .

(٢١١) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١٤٢ ، المقريزى : السلوك جـ ٤ ص ٧١٩ .
ابن حجر : أبناء الغمر جـ ٣ ص ٣٦٦ .

(٢١٢) ابن منكلى : الأحكام الملوكية جـ ١ ص ٢١ .

(٢١٣) النويرى : الالمام جـ ١ ص ١٢٤ .

(٢١٤) الرهمانى كتاب ارشادات الملاحة من رهنامة فى الفارسية (نامة) بمعنى كتاب أو قصة (وراه) طريق . ويضم هذا الكتاب جداول فلكية وخطوط الطول والعرض ، كما يضم معلومات عن الرياح والسواحل والشعاب ، بل كل ما يحتاج الريس إلى معرفته من مد وجزر وخلافه من علوم البحار . (ابن ماجد : الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد ورقة (٦) مخطوطة رقم (٥٧) دار الكتب المصرية) .

(٢١٥) النويرى : الالمام جـ ١ ص ١٢٤ .

(٢١٦) سليمان المهدى : المنهاج ص ٩٩ – ١٠١ .

(٢١٧) Poliak: Feudlism,.In Egypt, Synia and Palastine P. 14.

(٢١٨) المقريزى : السلوك جـ ٣ ص ١٢٩ .

(٢١٩) ابن المنكلى : الأدلة الرسمية ق (٤٤) ، (٤٥) .

(٢٢٠) ابن منكلى : التدبيرات السلطانية ق (١٥) ، (١٧) ، الأدلة الرسمية ق (٤٣) ، الأحكام الملوكية ص ٨ .

(٢٢١) بكتوت الرماح : نهاية السول والأمنية ق (١٩) .

(٢٢٢) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ٢ ص ٣٧ .

(٢٢٣) فولفجانج مولر فينر (Wolfgang Müller Wiener) : القلاع أيام الحروب الصليبية ص ٤١ (مترجم) .

(٢٢٤) المرجع السابق ص ٤٢ .

(٢٢٥) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الأمور جـ ٢ ص ٣٧ .

(٢٢٦) عبد الرحمن محمد الجيلالى : تاريخ الجزائر العام جـ ٢ ص ١٨٢ (سنة ١٩٥٥) .

(٢٢٧) الناصرى (ابو العباس أحمد بن خالد) الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى جـ ٥ ص١٤ (سنة ١٩٥٥) .

(٢٢٨) الجيلالى : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٨٥ .

(٢٢٩) الناصرى : المرجع السابق جـ ٥ ص ١٧ .

(٢٣٠) الناصرى : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى جـ ٥ ص ٢٩ .

(٢٣١) الجيلانى : تاريخ الجزائر العام جـ ٢ ص ١٩١ .

(٢٣٢) الجيلانى : المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٠١ .

(٢٣٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار جـ ٢ ص ٣٧ .

(٢٣٤) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ٣٦ .

(٢٣٥) وقف يرجع إلى عهد السلطان قايتباى . والدشيشة معناه الحب المجروش (الخطط التوفيقية جـ ١٢ ص ٧٠) .

(٢٣٦) على مبارك : الخطط التوفيقية جـ ٢ ص ٧٢ .

(٢٣٧) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ٣٨ .

(٢٣٨) فولفجانج مولر فينر : القلاع أيام الحروب الصليبية ص ٧٨ .

(٢٣٩) سمرنا (Smyrna) اسم للمدينا التركية إزمير التى كانت فى بدايتها مستعمرة قديمة جدا دمرت فى القرن (٤) ق.م من قبل آليات (Allyata) ، وأعيد بناؤها فى العصر الهلينستى . وقد سقطت فى يد الأتراك حوالى (سنة ٧٣١هـ / سنة ١٣٣٠م) المرجع السابق ص ٧٩ .

(٢٤٠) القلاع أيام الحروب الصليبية ص ٧٩ .

(٢٤١) القلاع أيام الحروب الصليبية ص ٤٥ .

(٢٤٢) المرجع السابق ص ٤٨ .

(٢٤٣) سرهنك : حقائق الأخبار فى دول البحار ص ٢٧١ .

(٢٤٤) هناك العديد من المؤلفات التى ملأت المكتبات التى تكلمت عن هذه المعركة الحاسمة فى تاريخ الحروب البحرية بين تركية ودول أوروبا المسيحية . وكان طبيعيا ان تعدد وتختلف الآراء فى تقدير الأطراف المتحاربة ، أما النتيجة فكانت بطبيعة الحال واحدة ، وهى انتصار الدول المسيحية على الدول العثمانية .
Fracaroli: From the Piroque to the Aircraft Carrier.

(٢٤٥) **Giuseppe: A History of Naval Tactical thought P. 61.**
Andre Siegfried: The Mediterranean P. 94.
Grousset: L'Empire du Levant P. 217.

(٢٤٦) **(Naish: Ships and Shipsbuilding. P. 471).**
الغليون سفينة حربية خفيفة الحركة ، وكانت تستعمل فى بعض الأحيان لحمل البضائع النفيسة أو الشخصيات الهامة وقت الحروب (البحرية فى مصر الإسلامية ص ٣٣٥) .

(٢٤٧) الشلندى مركب حربى كبير مسطح كان مخصصا لنقل المقاتلة والأسلحة . ويقول ابن مماتى (قوانين الدواوين ص ٣٤٠) : ان الشلندى مركب سقف تقاتل الغزاة على ظهره وجدافون يجدفون تحته . واستعملها العرب فقالوا ، صندل يستعمله الافرنج لنقل البضائع .

(٢٤٨) J. Bury: Naval Policy P. 189.

(٢٤٩) Giusepp: A History of Naval Tactical thought.

(٢٥٠) سرهنك حقائق الأخبار عن دول البحار ص ٤٢ .

(٢٥١) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ٢ ص ٢٤٠ .

(٢٥٢) على مبارك : الخطط جـ ١٢ ص ٧٢ .

(٢٥٣) La Graviere: Dori et Barberousse P. 252.

(٢٥٤) A History of Naval Tactical thought. P. 63.

(٢٥٥) L'Empire du Levant. P. 217.

(٢٥٦) André Siegfried: The Mediterrean P. 195.

(٢٥٧) History of Naval Tactical thought. P. 69.

(٢٥٨) (البابرية وسافوى والبندقية وجنوة واسبانيا) .

(٢٥٩) سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ص ٤٥ .

(٢٦٠) الخطط التوفيقية جـ ١٢ ص ٨٥ .

(٢٦١) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ٢٤٥ .

(٢٦٢) سرهنك : حقائق الأخبار ص ٤٧ .

(٢٦٣) A History of Naval Tactical thought. P. 64.

(٢٦٤) حقائق الأخبار ص ٤٩ .

(٢٦٥) الخطط التوفيقية جـ ١٢ ص ٧٦ .

(٢٦٦) The Mediterranean. P. 110.

(٢٦٧) A History of Naval Tactical thought. P. 65.

(٢٦٨) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ٢٥١ .

(٢٦٩) A History of Naval Tactical thought. P. 65. سرهنك

(٢٧٠) Fron the Pinogue to the aircraft Carrier P. 85.

(٢٧١) سرهنك ص ٥٨ .

(٢٧٢) Naval Policy. P. 211.

(٢٧٣) L'Empire du Levant P. 220.

(٢٧٤) سرهنك : ص ٥٩ .

(٢٧٥) A Hidtory of Naval Tactical thought P. 65.

(٢٧٦) A History of Naval Tactical thought P. 66.

ر٦١

وثائق ومخطوطات

أولا : المخطوطات

(١) كتاب تحفة المجاهدين فى العمل فى الميادين

تأليف لاجين بن عبد الله الذهبى الحسامى المعروف بالطرابلسى المتوفى سنة ٧٣٨هـ توجد لهذه المخطوطة سبع نسخ واحدة بمكتبه الفاتح باستنبول رقم (٣٥١٢) والثانية بمكتبه رضا رامبور بالهند رقم (٣٥٢٤) وثالثة بمكتبه (المحمدية) باستنبول رقم (٣٥٠٩) ورابعة بمكتبه أحمد الثالث باستنبول رقم (٢١٢٩) ونسخة خامسة بمكتبه بغداد كشك باستنبول رقم (٣٧٠) ونسخة سادسة بمكتبه الأحمدية بحلب رقم (١٣٧٢) والسابعة مؤرخة (سنة ٨٠٠هـ) كتبها محمد بن تمراز .

(٢) عيارات النفط (المحتاج اليها فى الحروب)

لا يعلم مؤلفه ثم نسخها (سنة ٧٧٤هـ) موجودة بمكتبه أحمد الثالث باستنبول رقم (٣٤٦٩) .

(٣) غنية الطلاب فى معرفة الرمى بالنشاب

تأليف الأمام العلامة علاء الدين طيبغا الأشرقى اليونانى قدس الله روحه توفى سنة ٧٩٧هـ . موجودة بمكتبه أحمد الثالث باستنبول رقم (٣٠) .

(٤) الحيل فى الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب

تأليف محمد بن منكلى الناصرى نقيب الجيوش فى سلطنة الأشرف شعبان (سنة ٧٦٤هـ / سنة ٧٧٨هـ) موجودة بمكتبه أحمد الثالث باستنبول رقم (٣٤٦٩) .

(٥) تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام فى العدد والآلات المعنية على لقاء الأعداء

تأليف مرضى بن على بن مرضى الطرسوسى المخطوطة موجودة بمكتبه أيا صوفيا باستنبول رقم (٢٨٤٨) .

(٦) كتاب الحراقات

تأليف أبو سعد العلاء بن سهل مصورة بجامعة الدول العربية رقم (١٥٧) .

(٧) العز والمنافع للمجاهدين فى سبيل الله بآلات الحرب والمذافع

ألفة بالأعجمية الرئيس ابراهيم بن أحمد بن غانم بن محمود بن زكريا الأندلسى المشهور بالرباش . وترجمه إلى العربية أحمد بن قاسم بن أحمد بن قاسم بن الفقيه بن الحجرى الأندلسى ، ترجمان سلطان مراكش المخطوطة موجودة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم (٨٦) فروسيه .

(٨) كتاب انيق فى المناجيق

وضع العبد الفقير المعترف بذنبه الراجى عفو ربه بن ارنبعا الزردكاش سنة ٨٦٧هـ . المخطوطة موجودة بمكتبه أحمد الثالث باستنبول رقم (٤) .

ثانيا : الوثائق

١ - وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم (٨٨٩ قديم)

أرشيف وزارة الأوقاف ، مؤرخة فى ٢٥ ذى الحجة ٨٨١هـ .

٢ - وثيقة وقف يشبك بن مهدى الدودار

محفوظة بمحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة تحت رقم ١٨٨ محفظة ٢٨ ؛ وزارة الأوقاف رقم ٦٦ ج نشر د. عبد اللطيف ابراهيم مجلة جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، العدد الثانى سنة ١٩٧١ .

المصـــادر

١ – ابن الأثير : الكامل فى التاريخ (مصر سنة ١٣٠٣هـ) .
٢ – ابن القفطى : تاريخ الحكماء (طبعة مصر) .
٣ – ابن النديم : الفهرست (ليبزج سنة ١٨٧١م) .
٤ – ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الزهور (بولاق سنة ١٣٠٧هـ) .
٥ – ابن خلدون : المقدمة .
٦ – ابن خلكان : وفيات الأعيان .
٧ – ابن سيده المرسى : كتاب المخصص .
٨ – ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية .
٩ – ابن مماتى : قوانين الدواوين .
١٠ – ابو الفدا : اخبار البشر .
١١ – ابو الفرج البصرى : تاريخ مختصر الدول (بيروت سنة ١٨٩٠م) .
١٢ – أبو المحاسن يوسف تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى (دار الكتب المصرية) .
١٣ – أبو المحاسن يوسف تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة (دار الكتب المصرية) :
١٤ – البلاذرى : فتوح البلدان .
١٥ – الجاحظ : البيان والتبيين (مصر سنة ١٣١٣هـ) .
١٦ – الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول (مطبوع على هامش الخلفاء للسيوطى (مصر سنة ١٣٠٥هـ) .
١٧ – القلقشندى : صبح الأعشى (القاهرة سنة ١٣٣٢هـ) .
١٨ – اليعقوبى : البلدان (لندن سنة ١٨٩٣م) .
١٩ – المقريزى : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار (مصر سنة ١٩٧٦)
٢٠ – المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك (مصر سنة ١٩٧٨) .

٢١ – حاجي خليفة : كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون (القسطنطينية سنة ١٣١١هـ) .
٢٢ – زين الدين : تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتكاليين (طبقة لشبونه)
٢٣ – شهاب أحمد بن ماجد السعدى : كتاب الفوائد فى أصول البحر والقواعد .

المراجع العربية

١ – أحمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر المتوسط جزءان (سنة ١٩٥٤م) .
٢ – اسماعيل مظهر : السفن والملاحة بمصر (المقتطف يناير سنة ١٩٣٤م) .
٣ – اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار فى دول البحار .
٤ – برنارد لويس : جزر البحر الأبيض المتوسط ومكانتها فى تاريخ العرب [بحث منشور بمجلة المستمع العربى السنة الثالثة العدد (٢٣)] .
٥ – توفيق حبيب (الصحافى العجوز) : قبرص قديما وحديثا .
٦ – التميمى : النظم والطرق التجارية بين الشرق والغرب قبل الحرب الصليبية (المقتطف مارس وإبريل بسنة ١٩٤١م) .
٧ – جاستون فييت : المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى (منشور فى مصر الإسلامية) .
٨ – جميل خانكى : البحرية المصرية (دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٨) .
٩ – خيز الدين الزركلى : الأعلام (القاهرة سنة ١٩٥٩م) .
١٠ – سيد على الحريرى : كتاب الأخبار السنية فى الحروب الصليبية .
١١ – شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب .
١٢ – طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة (طبعة حيد أباد) .
١٣ – عبد الفتاح عبادة : كتاب سفن الأسطول الإسلامى (طبعة سنة ١٩١٤م القاهرة) .
١٤ – كرلو نلينو : علم الفلك ، تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى (روما سنة ١٩٣٥م) .
١٥ – مجلة رعمسيس : العمارات البحرية وتاريخها (عدد ديسمبر سنة ١٩١٣م ويناير سنة ١٩٤٦م) .

١٦ - محمد مصطفى زياده : المحاولات البحرية للاستيلاء على جزيرة رودس (مجلة الجيش المصرى يناير سنة ١٩٤٦م) .

١٧ - محمد مصطفى زياده : المصريون فى قبرص (الثقافة العسكرية) .

١٨ - محمد ياسين الحموى : تاريخ الأسطول العربى (دمشق سنة ١٣٦٤هـ / سنة ١٩٤٥م) .

١٩ - محمود عبد الهادى : المعارف البحرية .

٢٠ - ميخائيل عواد : المآصر البحرية فى بلاد الروم والإسلام (المقتطف مارس وإبريل ومايو ويونية ويولية وأغسطس سنة ١٩٤٤م) .

٢١ - هربرت خاسكى : البحر فى تاريخ المسلمين وثقافتهم .

٢٢ - يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين .

المراجع الأجنبية

1 - Aly M. Fahmy: Muslim Sea Power in the Eastern Mediterranean. (Cairo 1966).

2 - A- Termier: Problems of Mediterranean Geology.

3 - André Siegfried: The Mediterranean. Translted from Freuch to English by Doris Hemming.

4 - Brehir: Vie et Mort de Byzance (1949).

5 - Colin Mc. Evedy: The Atlas of World History (U.S 1982).

6 - Colin Mc. Evedy: The Penquin Atalas of ancient History.

7 - Colin Mc. Evedy: The Penguin Atlas of Medieval History.

8 - C. Farrere: Navires.

9 - Chatterton. E.K: Sailing ships and their Story (London 1923).

10 - Cheira: La Lutte entre arabes et Byzantins (La Conquette et organistion de frontieres aux VIIe-VIII seicle).

11 - C.H. Becket: The Expansion of the Saracens. Tom. II.

12 - Charles. H. Ashdown: Armour and Weapon in the Middle ages.

13 - Finlay: History of greece.

14 - Grousset: L'Empire du Levant (Paris 1949).

15 - Guisepp Fioravauzo: A History of Naval Tactical thought (Trans. by Arthur ttolst).

16 - Gibbon; The Roman Empire.

17 - J. Bury: Naval Policy (London 1899).

18 - Helene Ahrweller: Byzance et la Mer. (Paris 1966).
Hill: History of Cyprus.

19 - H. Ahrwiler: L'Asie Mineure et les Invasions arabe. (1962).

20 - Ludwing: La Mediterranée.
21 - P. Lemerle: Les repercussions de la Crise de L'Empire d'Orient au VIII siede sur les pays d'Occidental (Spoleto 1958).
22 - Poliak: Feudlism in Egypt, Syria and Palastine.
23 - R. Guilland: L'Expedition de Maslama contre Constantinople (al Macchriq Byrouth 1955).
24 - Runciman: Byzantine Civilsation.
25 - Torn. Cecil: Ancient Ships.
26 - Vasiliav: Byzantine et les Arabes.

الخرائط

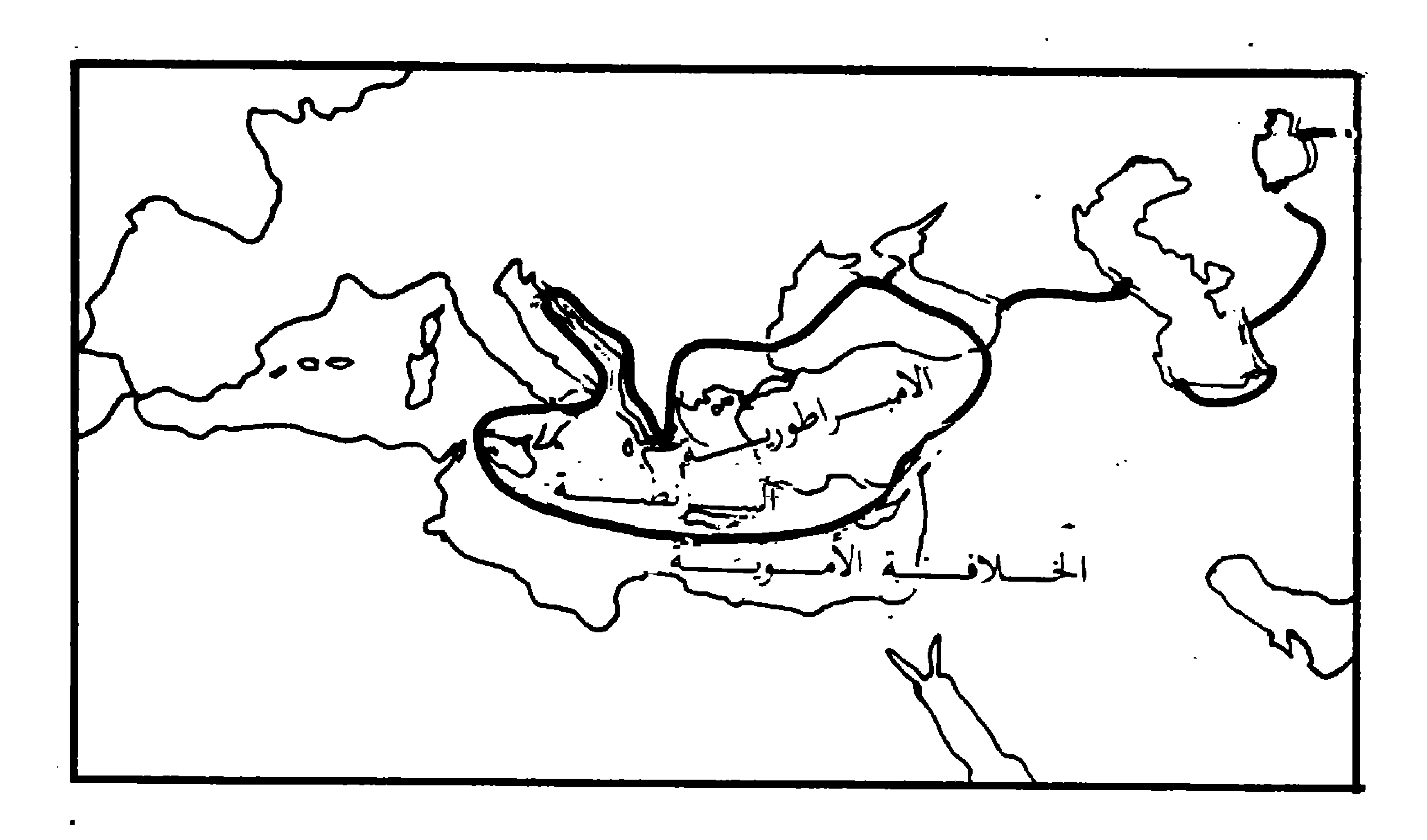


خريطة رقم ١
توضح سيطرة الامبراطورية الرومانية الشرقية على البحر المتوسط وعلى جميع السواحل المطلة عليه سنة ٦٠٠م .

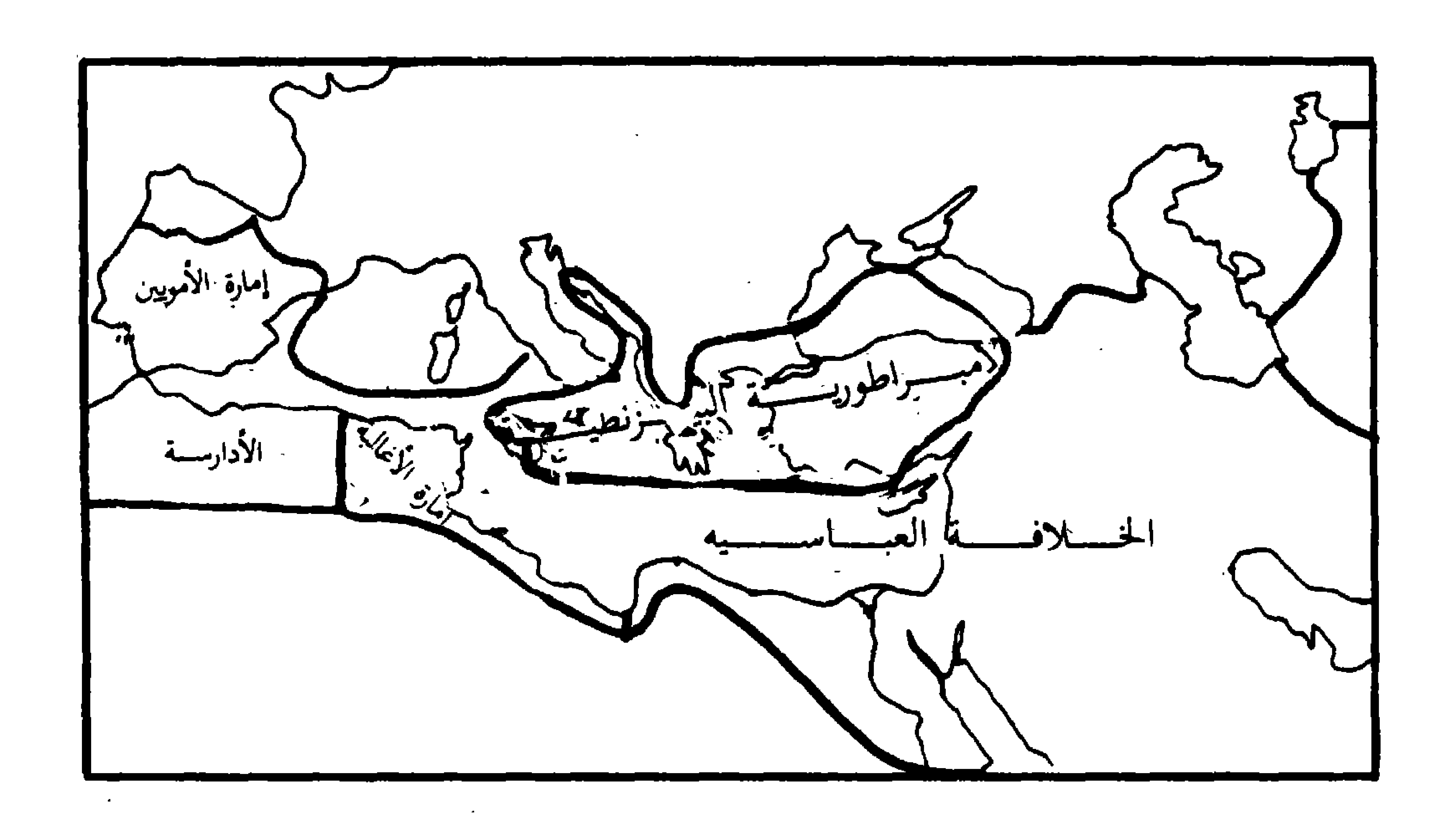


خريطة رقم ٢

تبين تقاسم سيطرة الامبراطورية البيزنطية والخلافة الإسلامية زمن الخليفة عثمان بن عفان سنة ٣٠هـ/ ٦٥٠م على البحر المتوسط .



خريطة رقم ٣
انحصار السيطرة البيزنطية على البحر المتوسط فى عهد الدولة الأموية والعباسية
سنة ١٢٠هـ / ٧٣٧م - ١٥٥هـ / ٧٧١م .



خريطة رقم ٤
النفوذ الفاطمى فى البحر المتوسط وشواطئه وكذا البيزنطى سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٨م .



خريطة رقم ٥

انحصار النفوذ البيزنطي فى الجزء الشمالى الشرقى من البحر المتوسط سنة ٤١٩هـ / ١٠٢٨م .

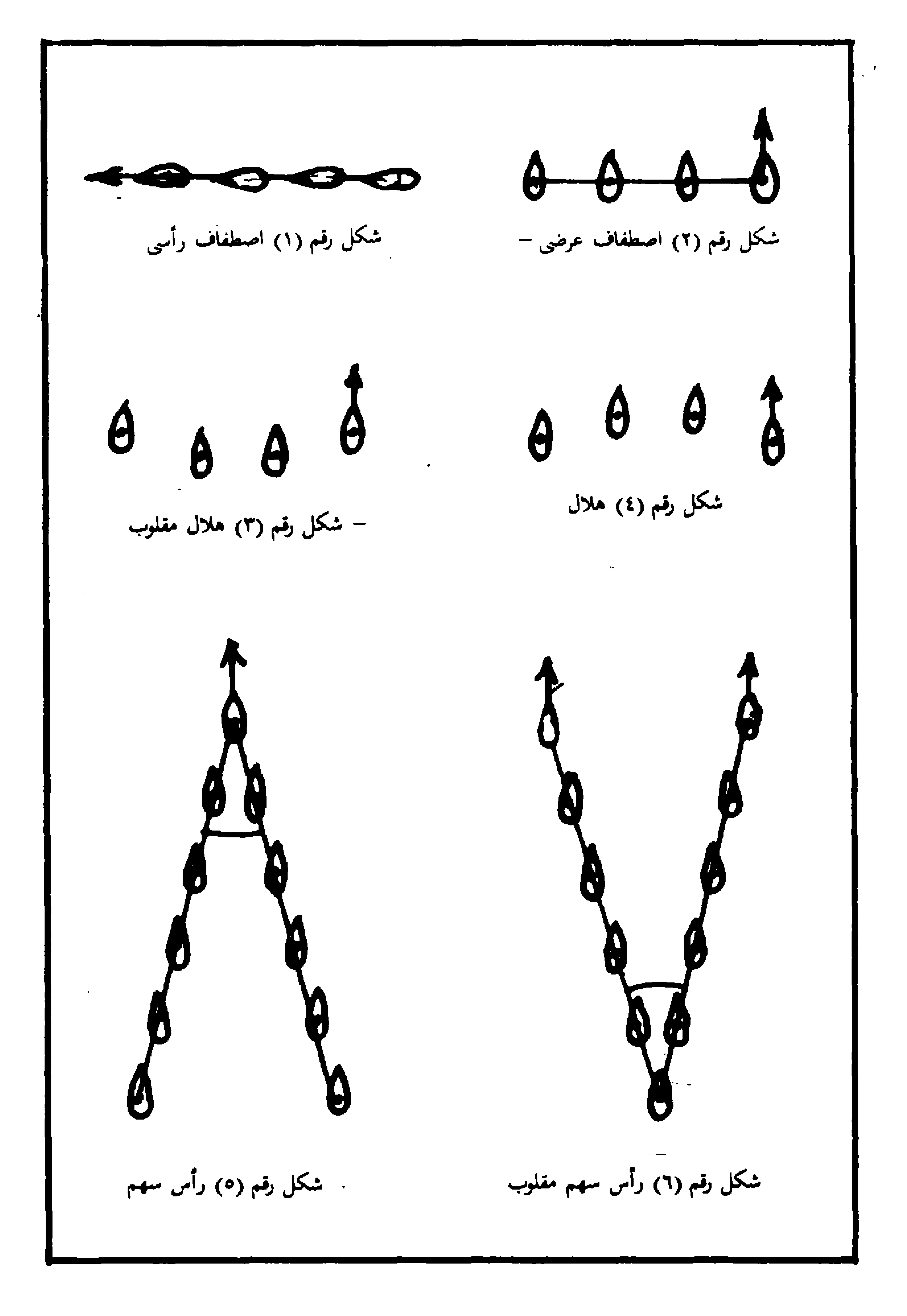


خريطة رقم ٦
النفوذ المملوكى فى البحر المتوسط والدول المطلة عليه سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م .



خريطة رقم ٧

تقاسم النفوذ فى البحر المتوسط فى زمن السلاطين العثمانيين سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م .



شكل رقم (١) اصطفاف رأسى

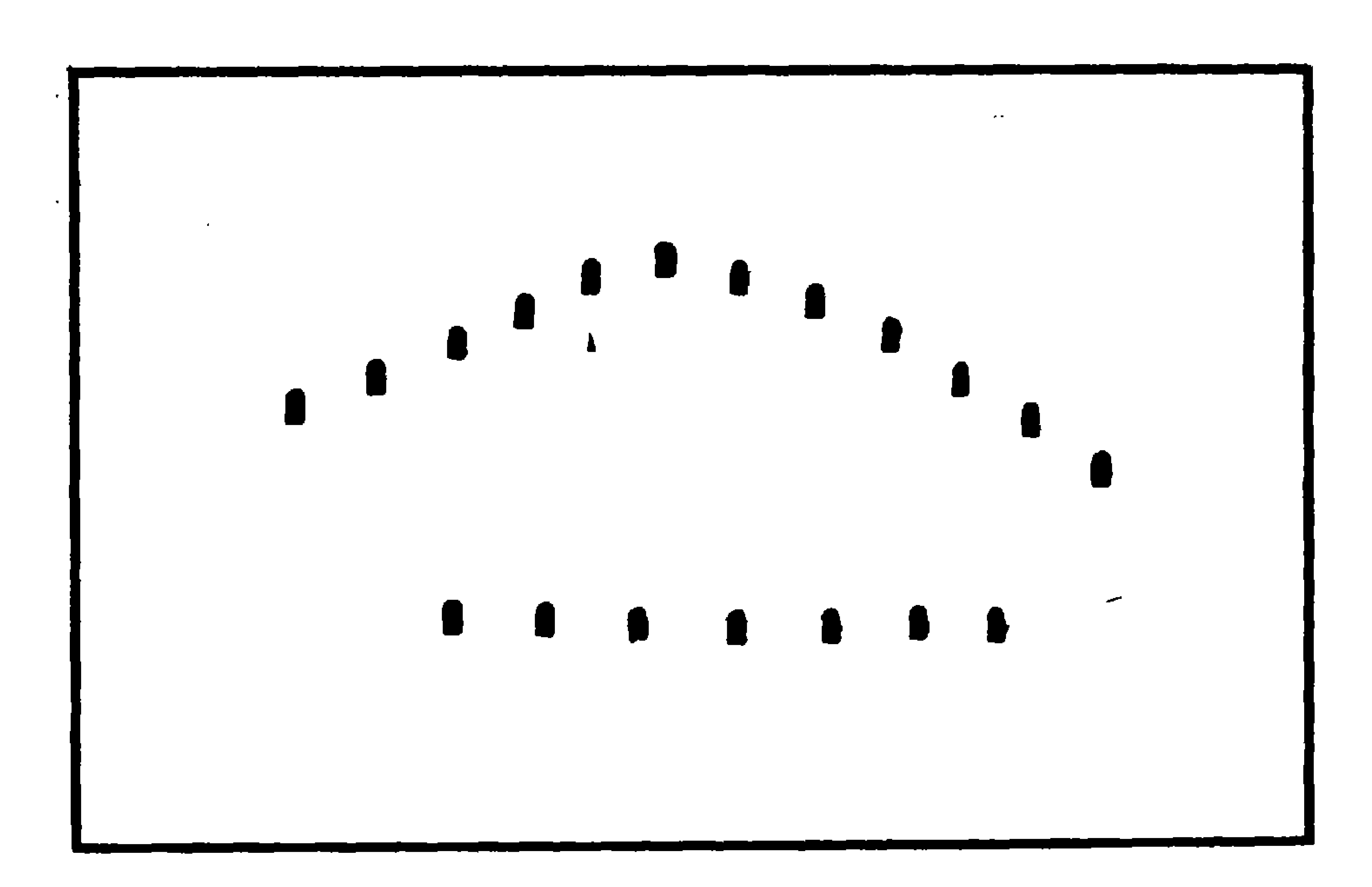
شكل رقم (٢) اصطفاف عرضى

شكل رقم (٣) هلال مقلوب

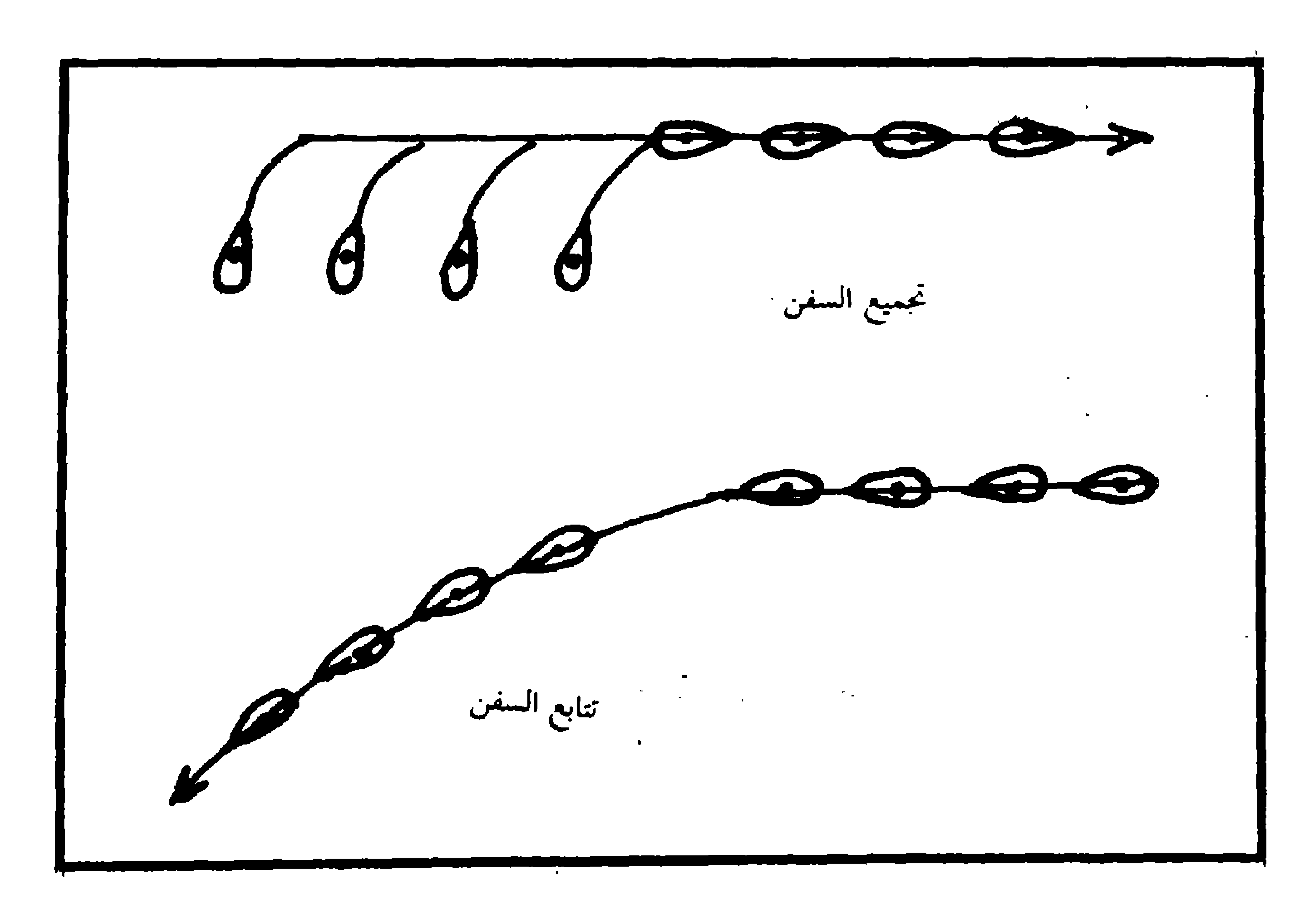
شكل رقم (٤) هلال

شكل رقم (٥) رأس سهم

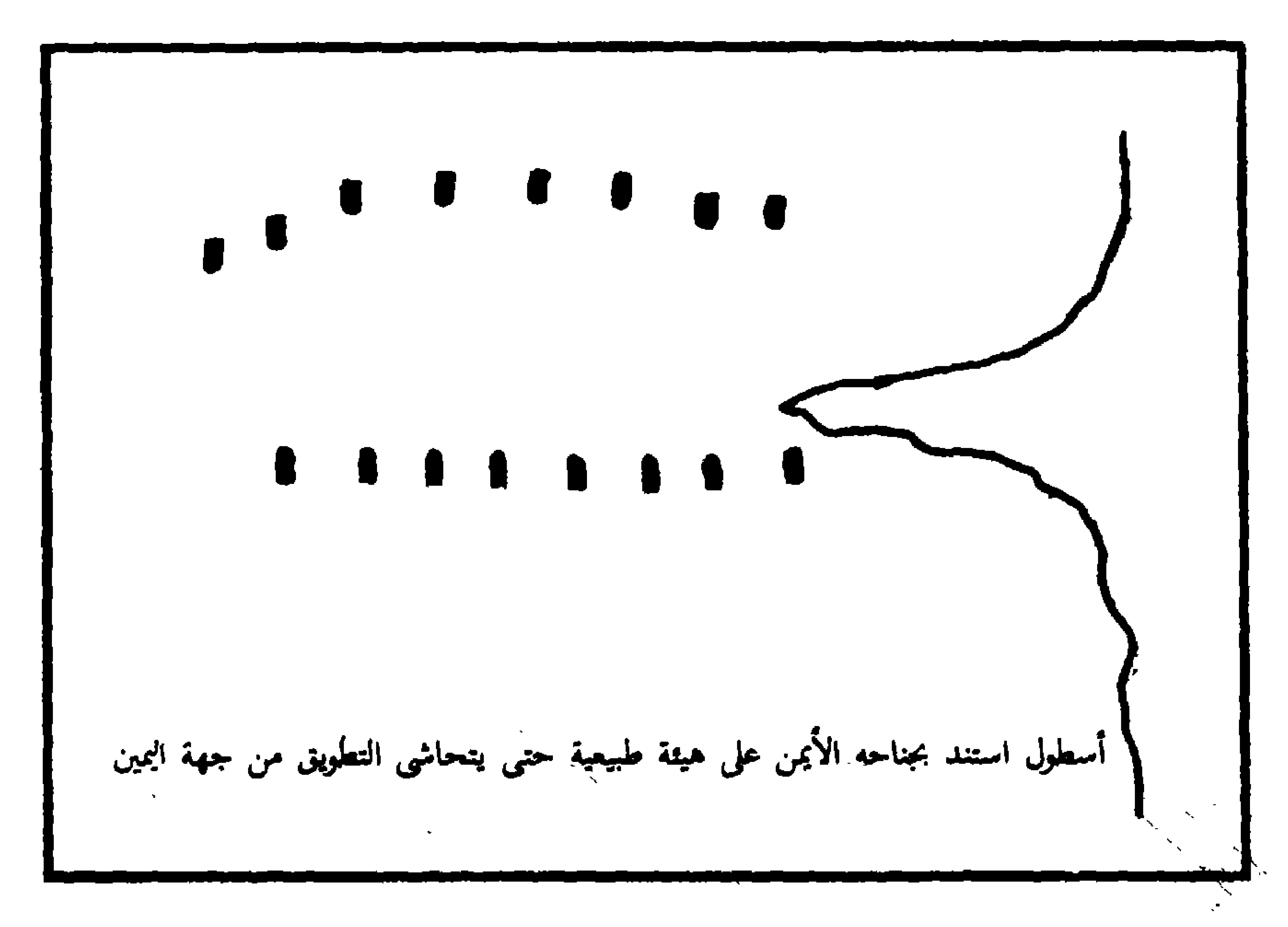
شكل رقم (٦) رأس سهم مقلوب



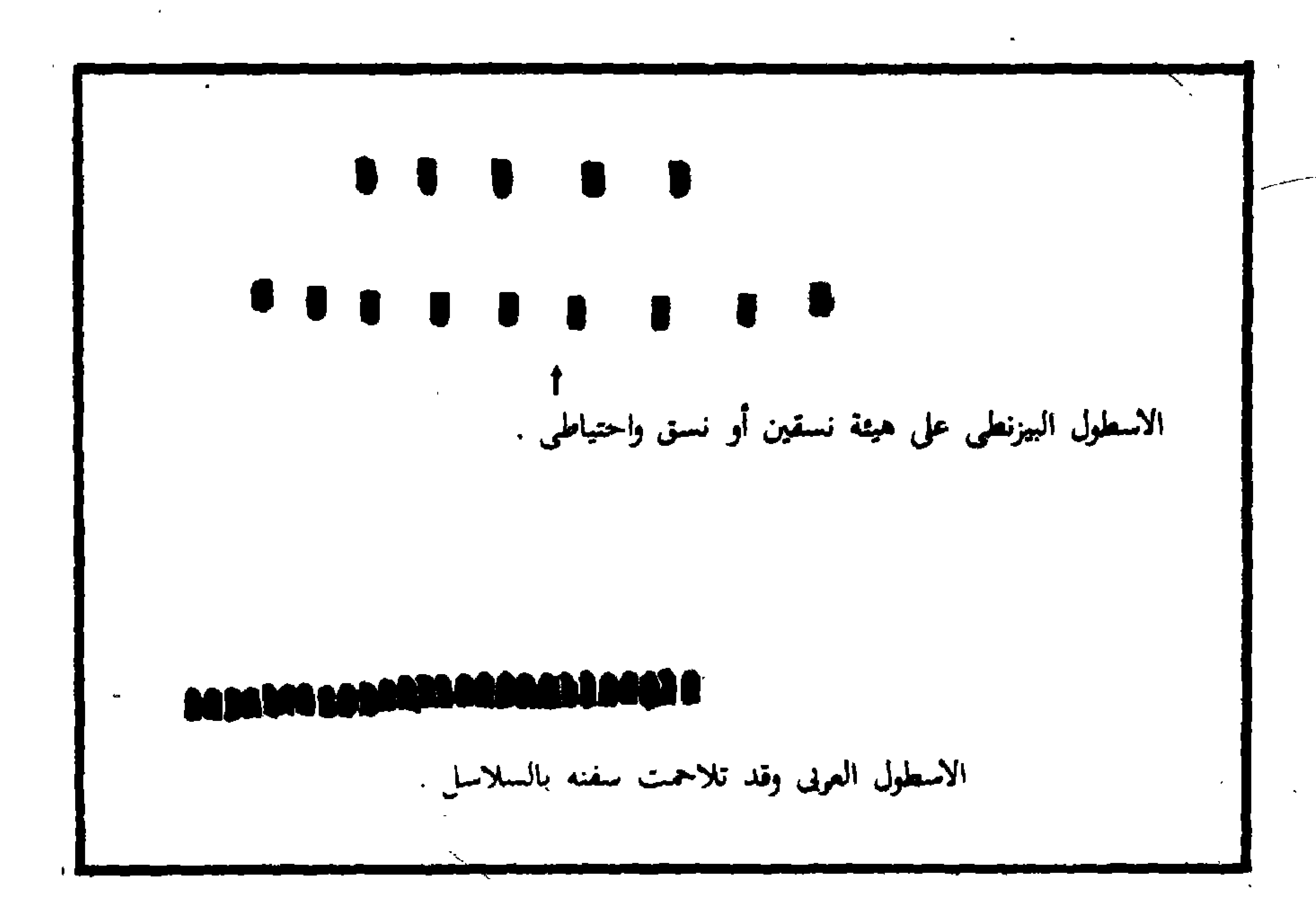
شكل رقم (٧) : وضع على شكل زاوية وآخر مستقيم .



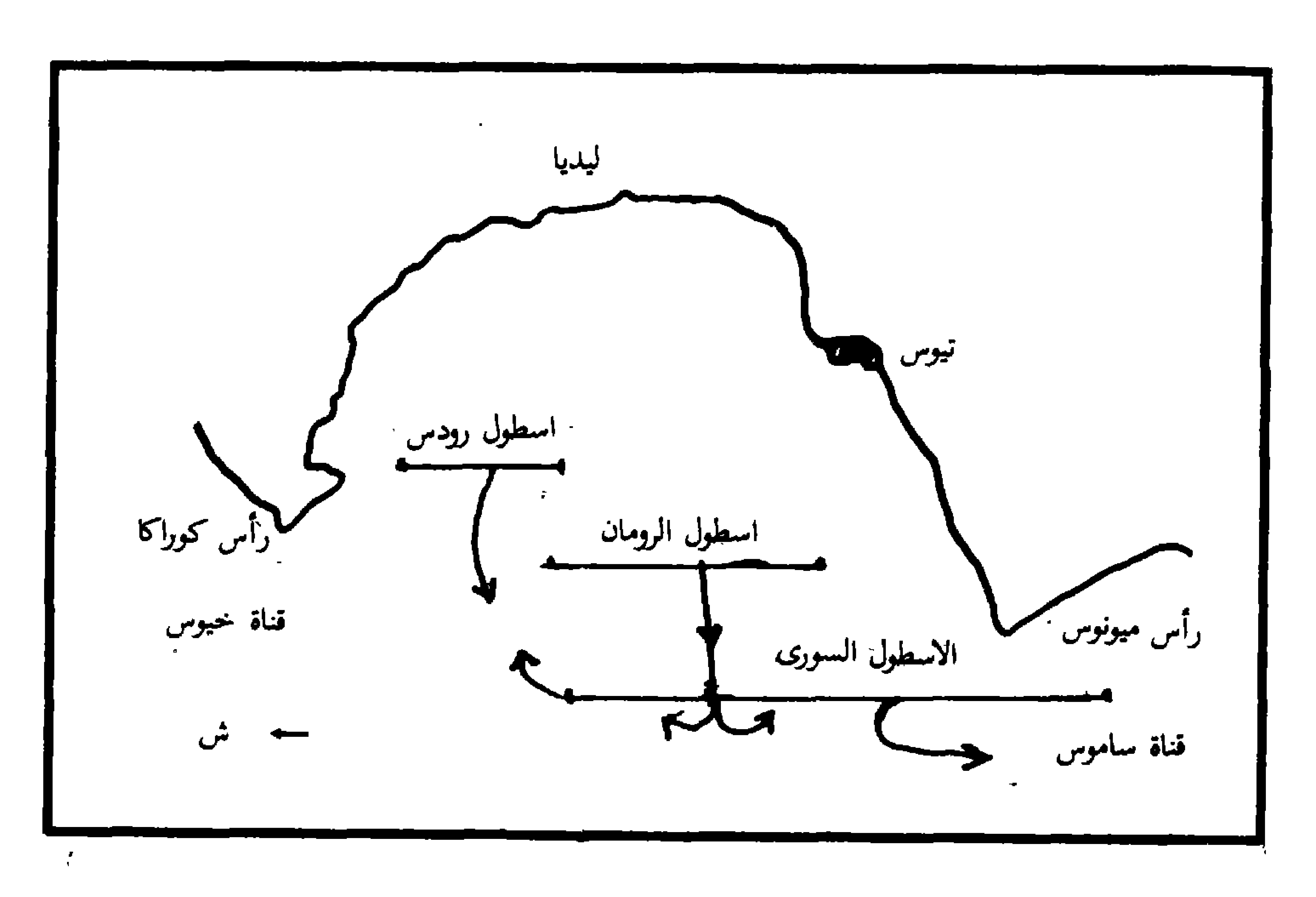
شكل رقم (٨) : تجمع السفن وتتابعها .



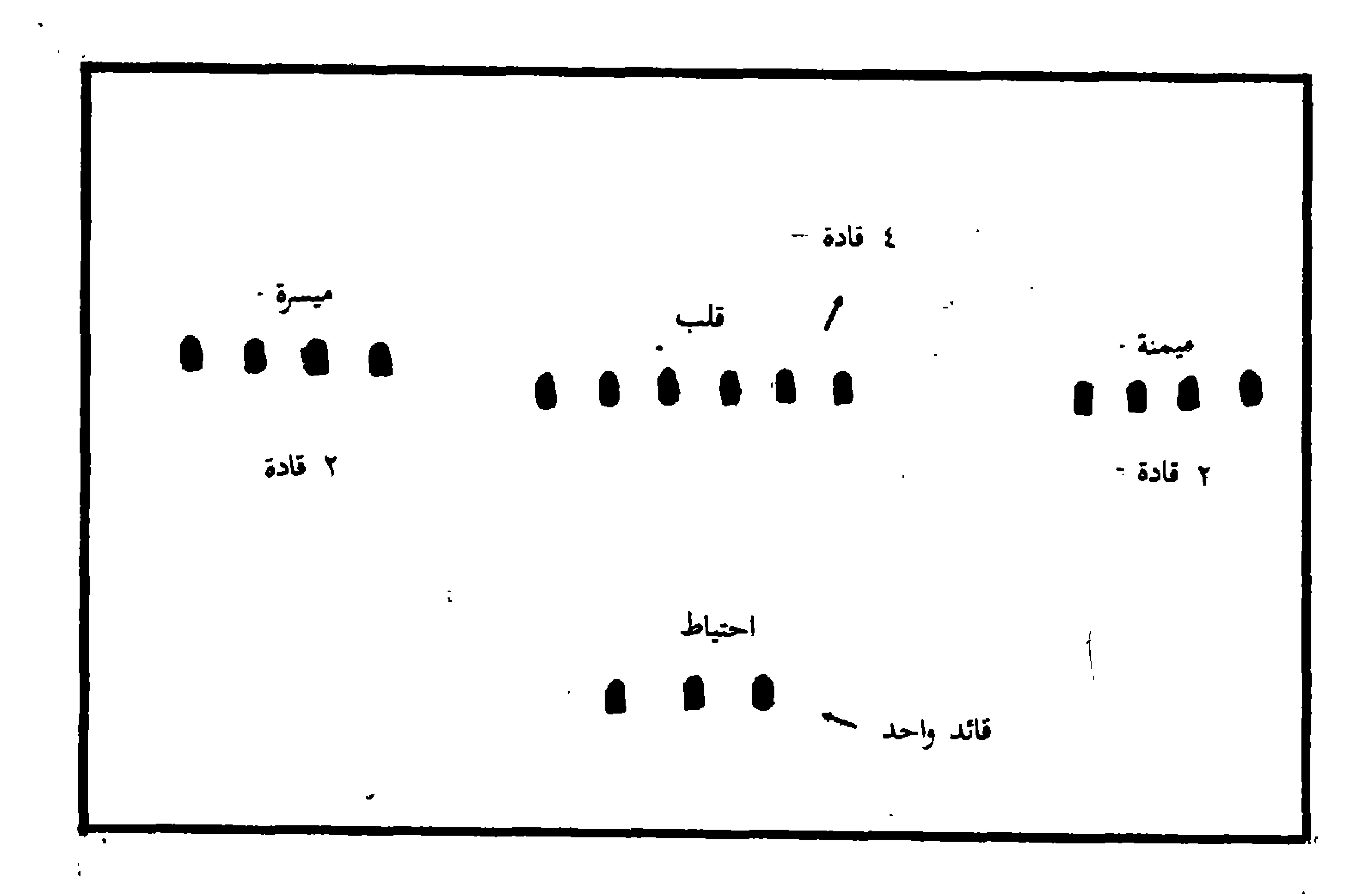
شكل رقم (٩) —



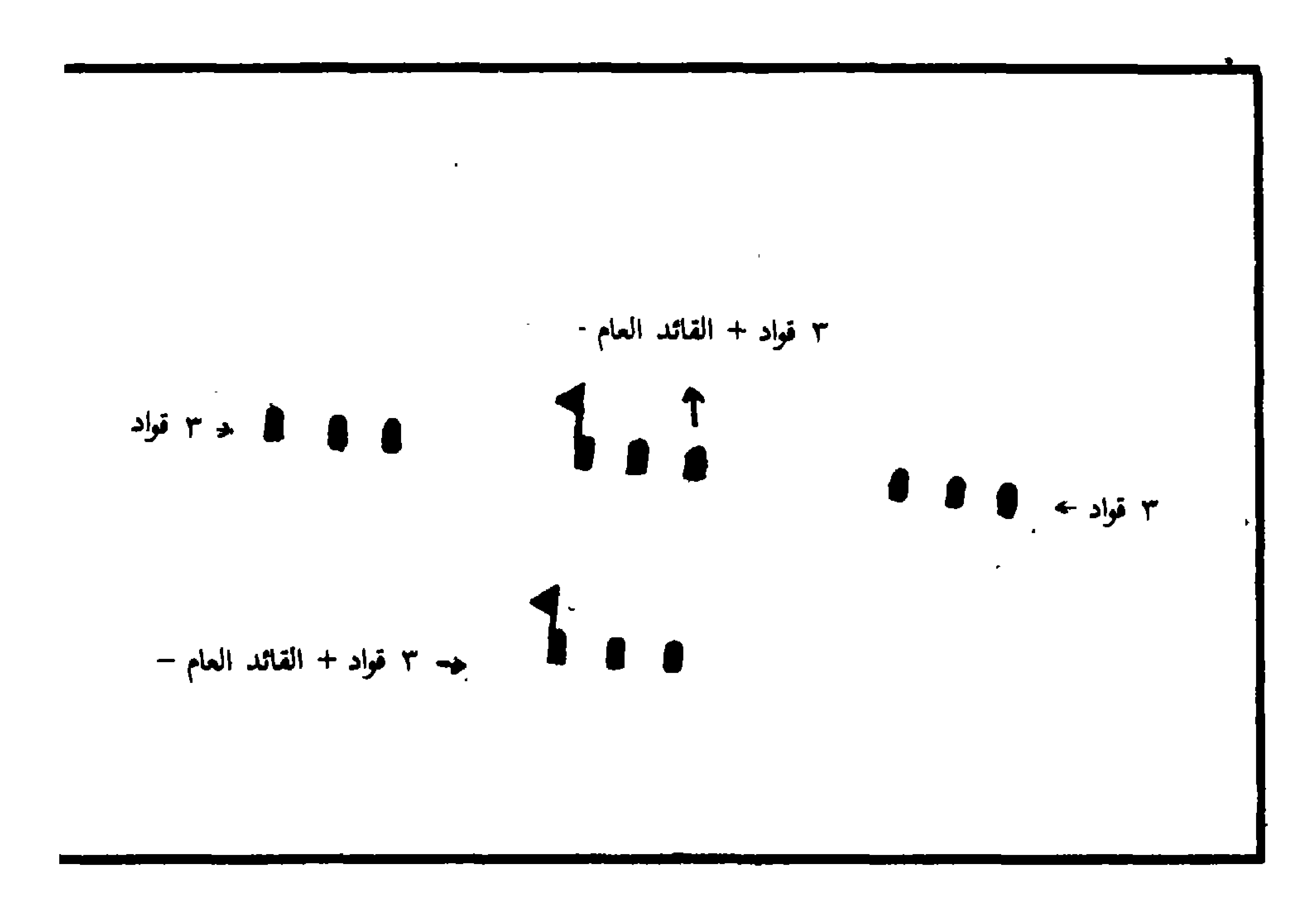
شكل رقم (١٠) تشكيلات القوات المتحاربة فى معركة ذات الصوارى البحرية .



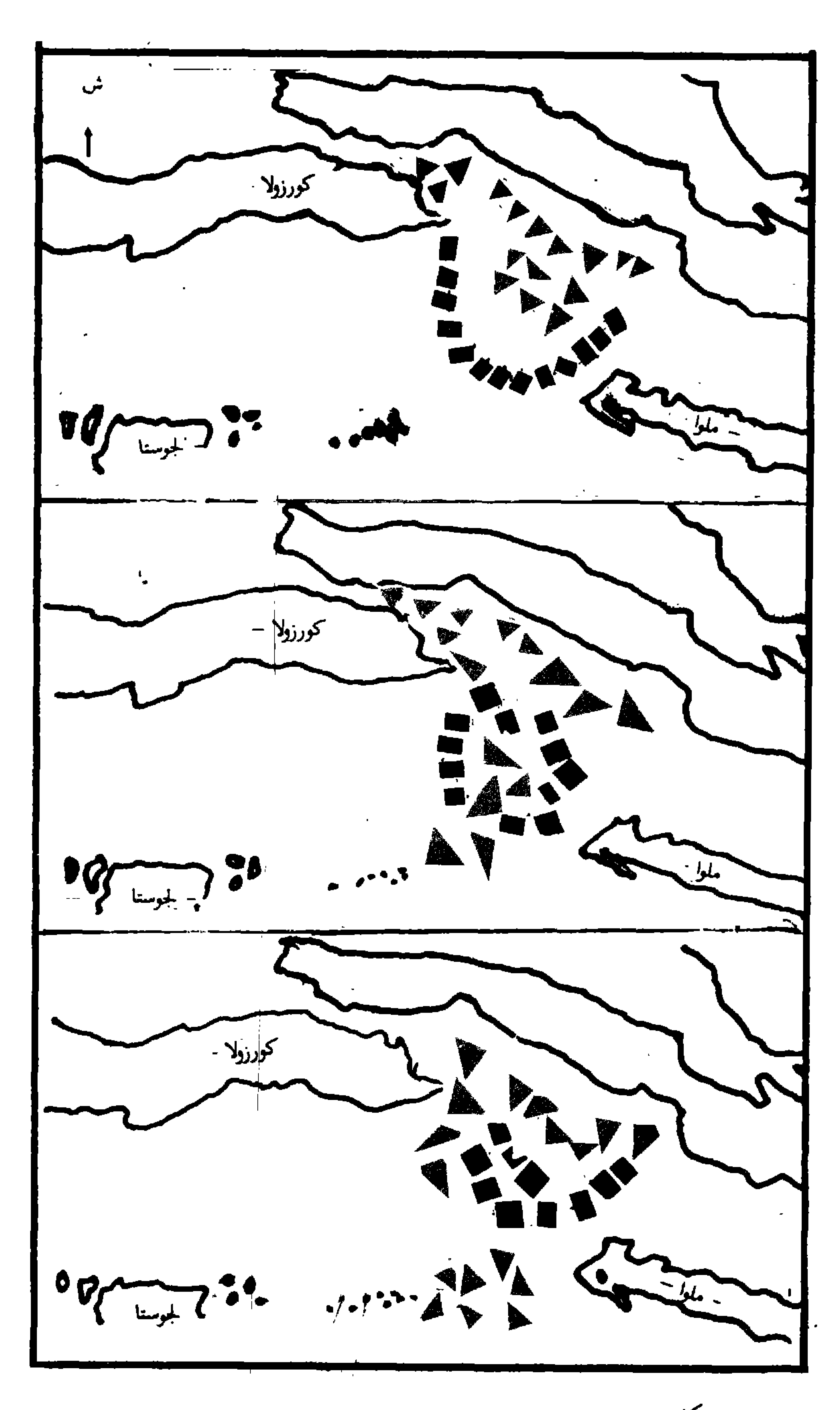
شكل رقم (١١) معركة ميونوس أو تيوس البحرية سنة ١٩٠ ق.م.



شكل رقم (١٢) : توزيع السفن قلب ميمنة وميسرة واحتياط .



شكل رقم (١٣) : القواد الذين يوزعون على عدد من السفن .

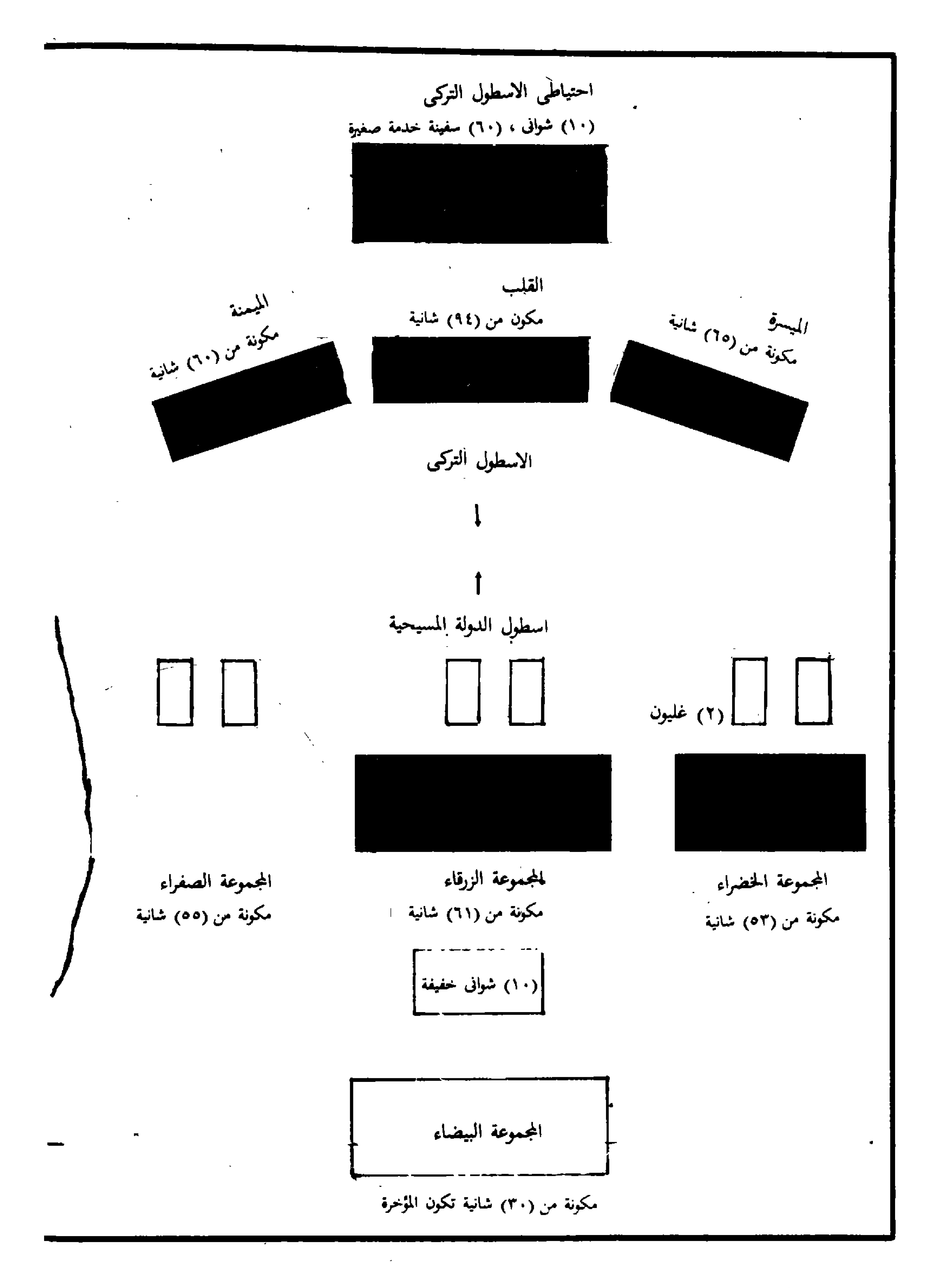


شكل رقم (١٤)

معركـــة كـــورزولا البحـــريـــة

سفن اسطول جنوه

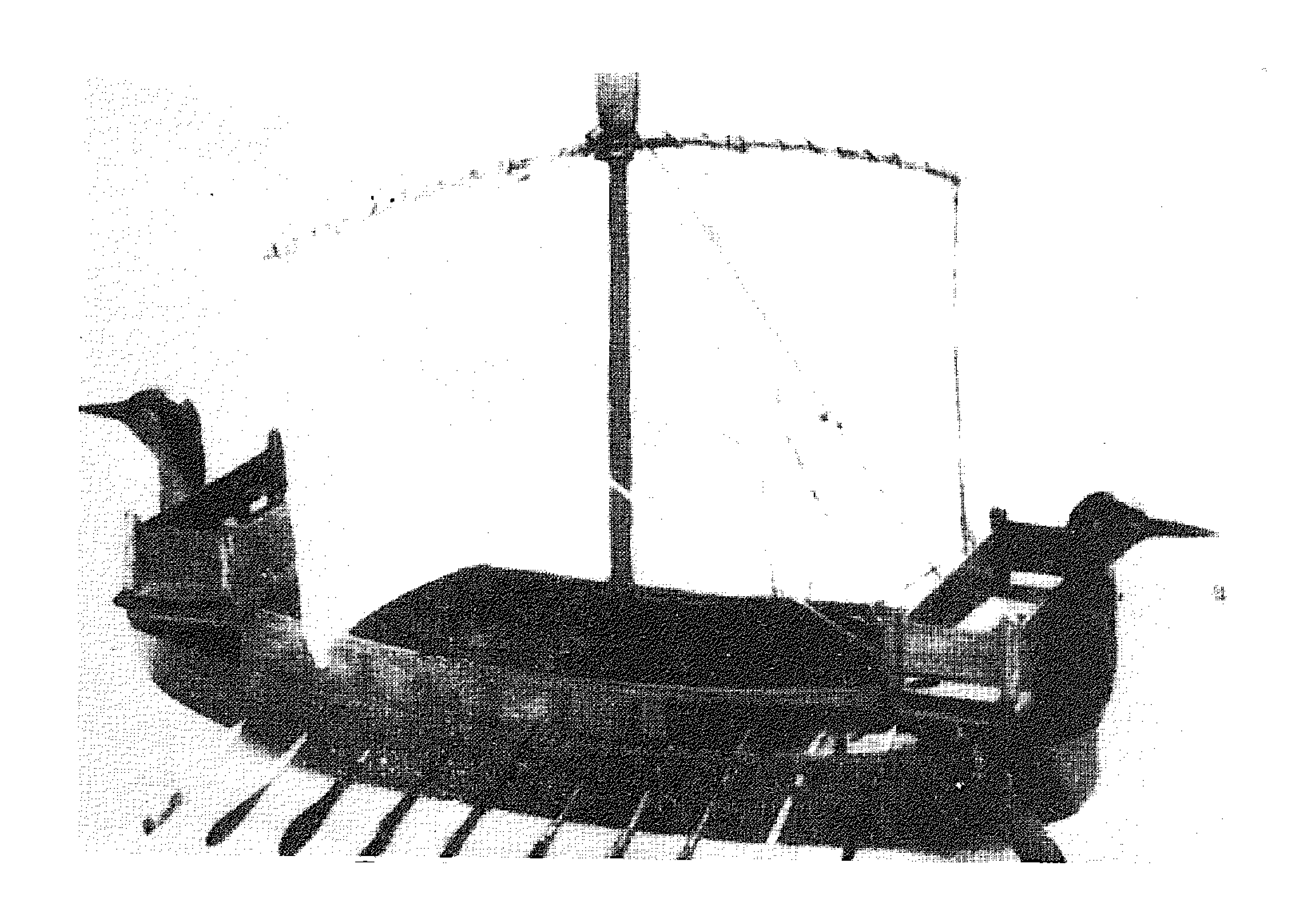
سفن اسطول البندقية



شكل رقم (١٥)

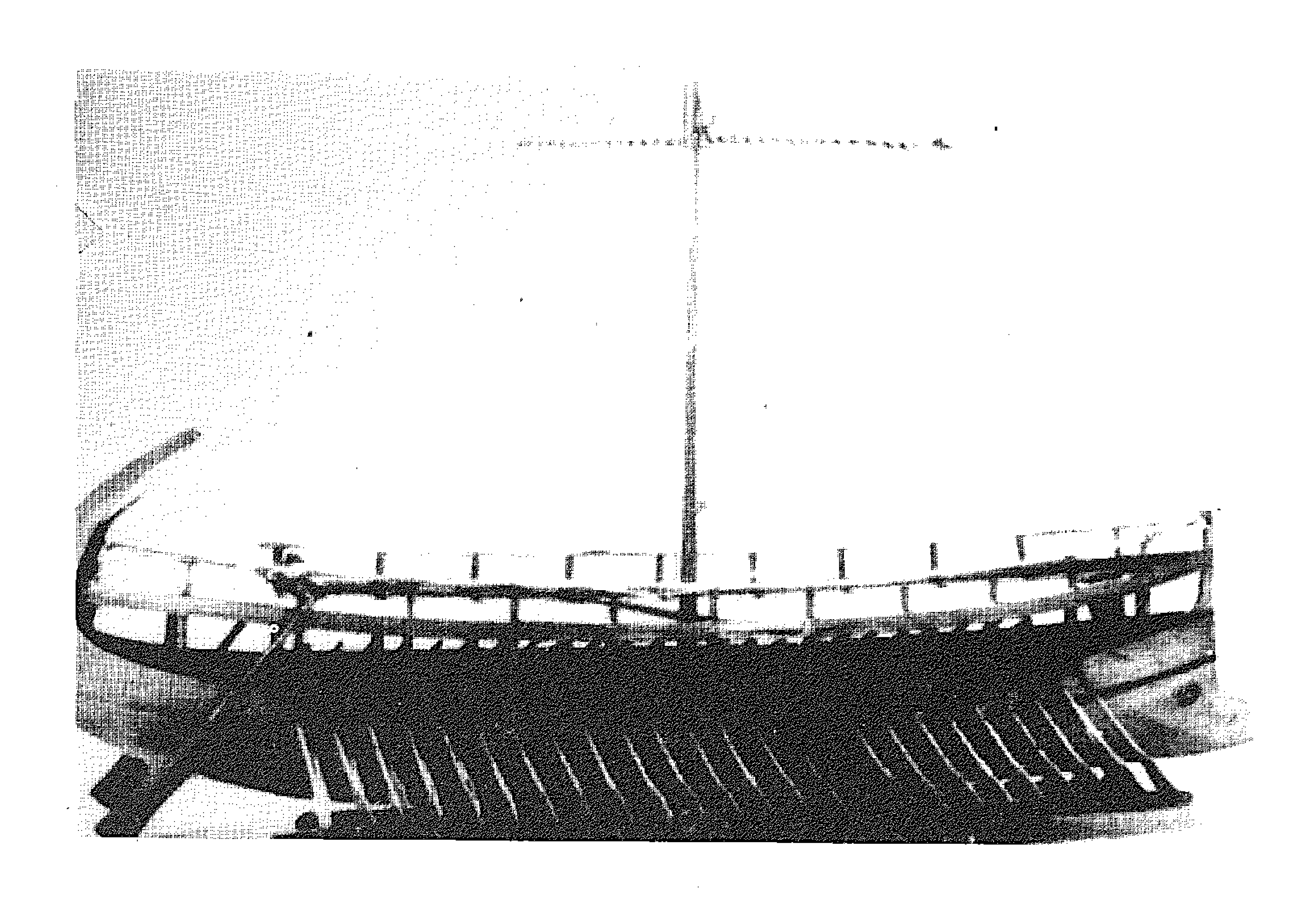
معـــركـــة لابـــنتـــو البحـــريـــة .

اللوحات



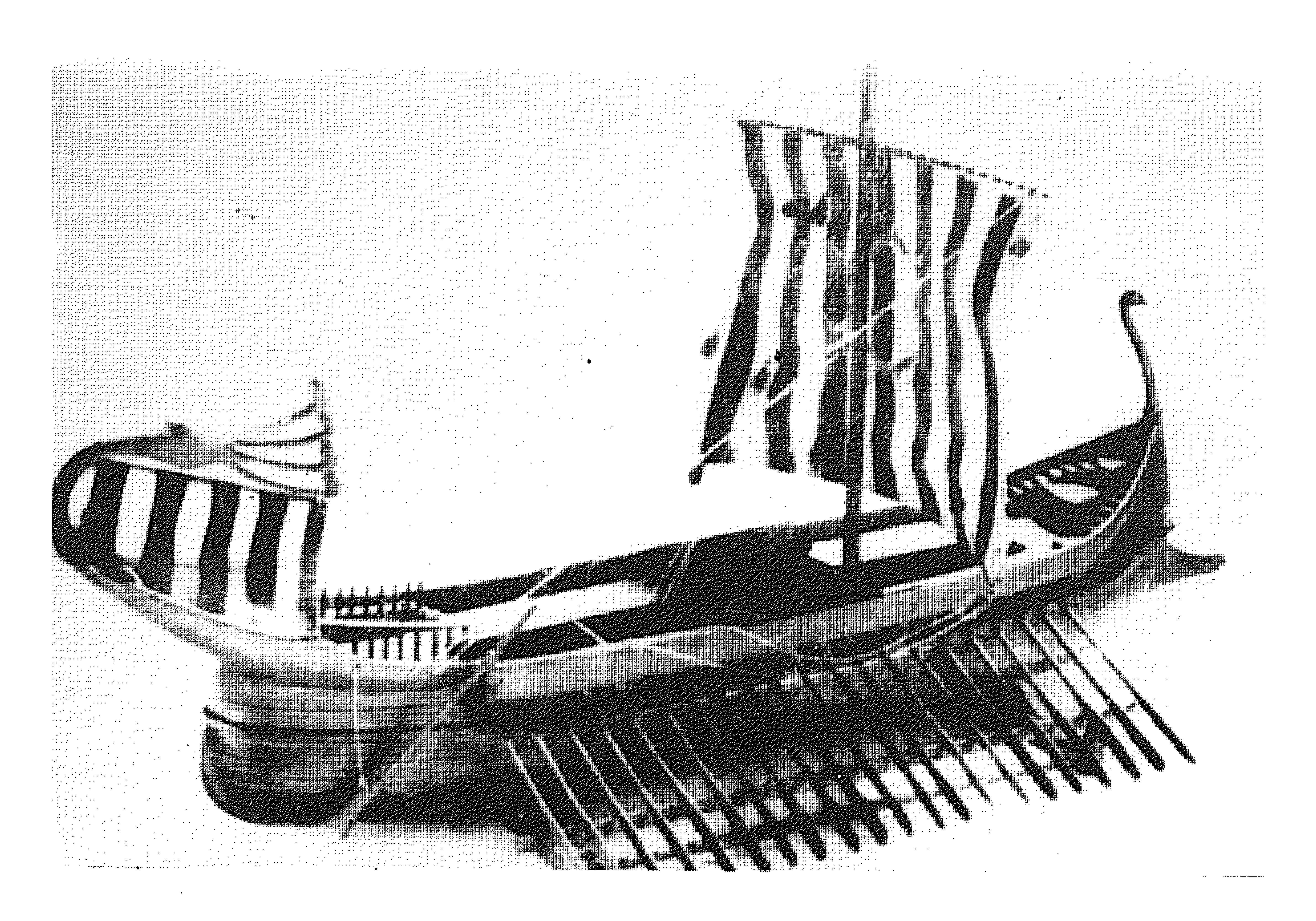
لوحة رقم (١)
نموذج سفينة فلسطينية ترجع إلى القرنالثانى الميلادى .

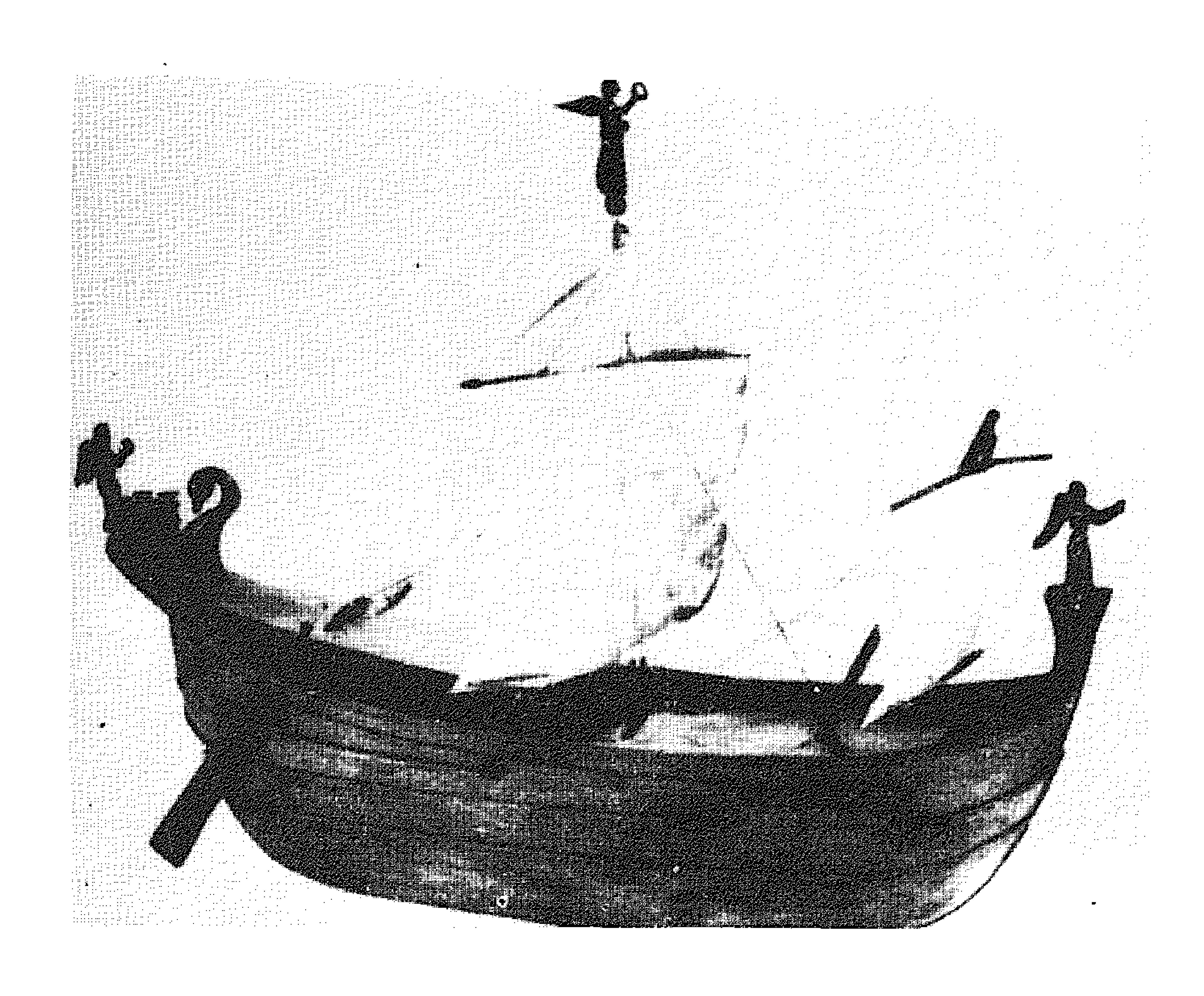
عن (المتحف التجارى بفلادلفيا) .



لوحة رقم (٢)
نموذج سفينة من سفن البحر المتوسط من القرون الثلاثة الأولى الميلادية ، تنتهى مقدمتها برأس فرس .
عن (المتحف التجارى بفلادلفيا) .

لوحة رقم (٣)
سفينة من قرطاجنة من النوع المعروف باسم (Galley) وتنتهى المقدمة بشكل طائر يشبه البجعة وترجع إلى القرن السابع الميلادى .

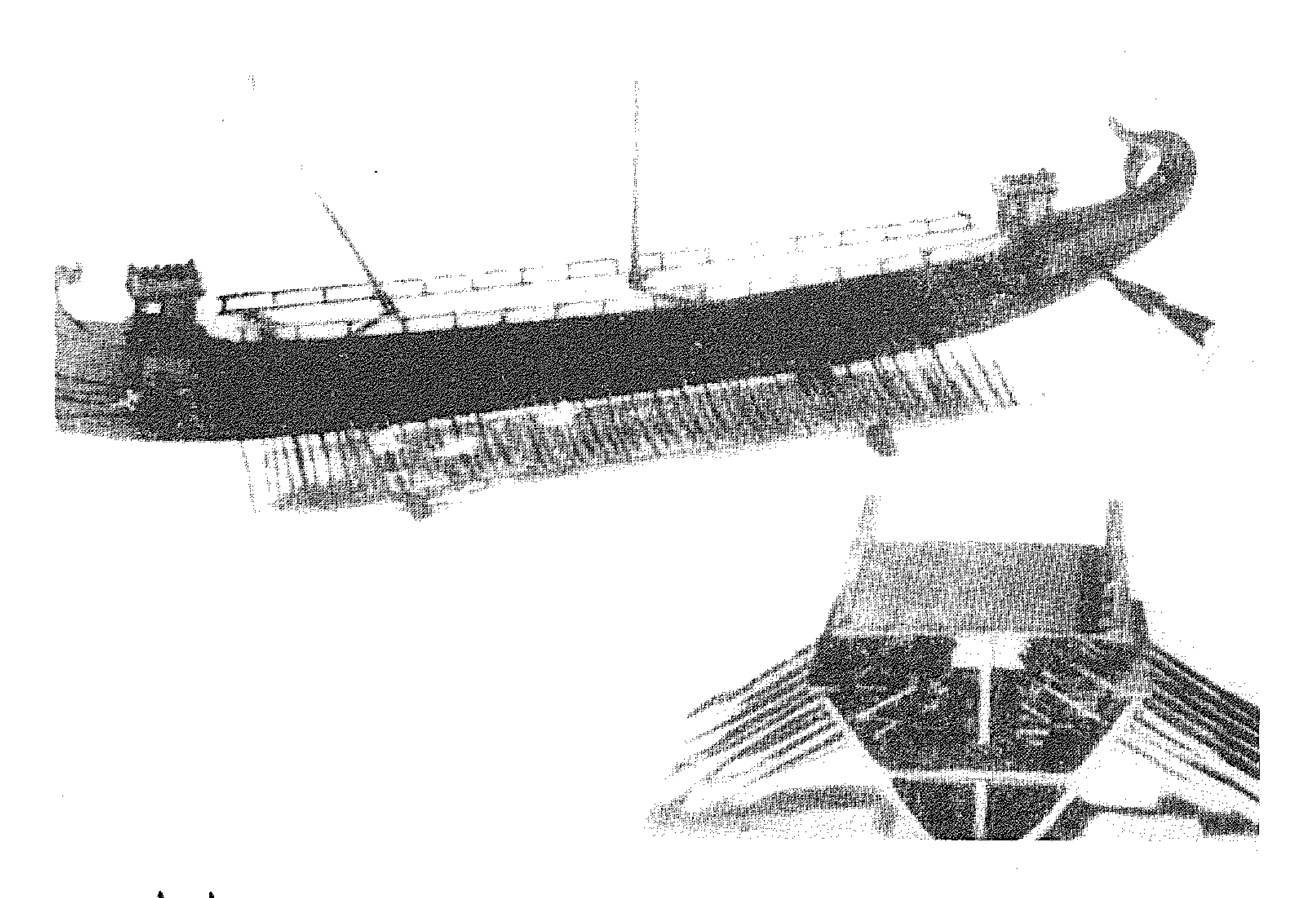


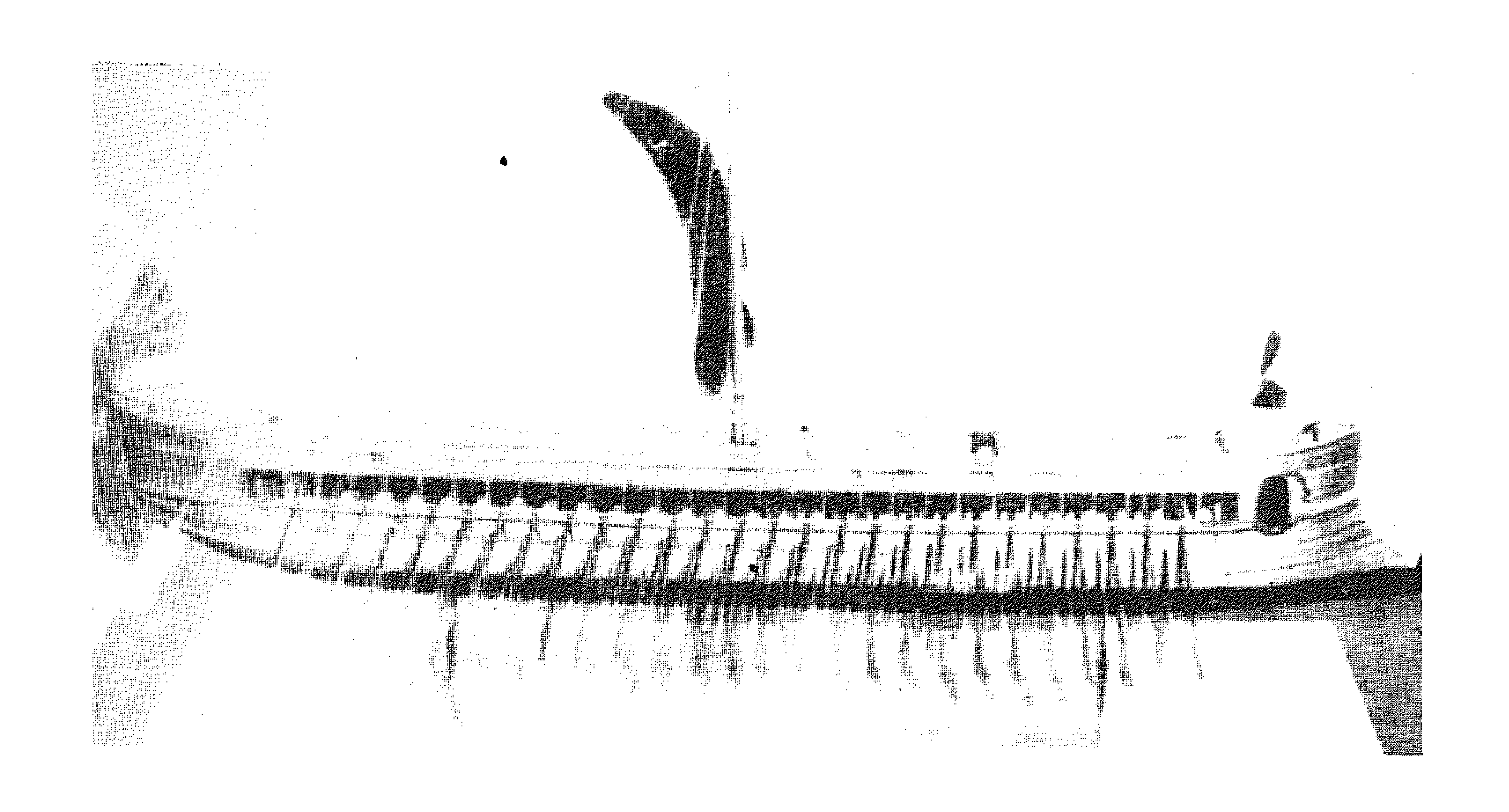


لوحة رقم (٤)
نموذج سفينة تجارية رومانية ، نحتت نهاياتها على هيئة تماثيل آدمية وحيوانية ، ترجع إلى القرن الثانى الميلادى .
عن (Cecitlorr) .

لوحة رقم (٥)
نموذج سفينة اغريقية من النوع المعروف باسم (Trireme) أى ذات الثلاثة صفوف من المجاديف ، والقطاع الجانبى بين الصفوف الثلاثة من المجاديف .

عن (المتحف التجارى بفلادلفيا) .

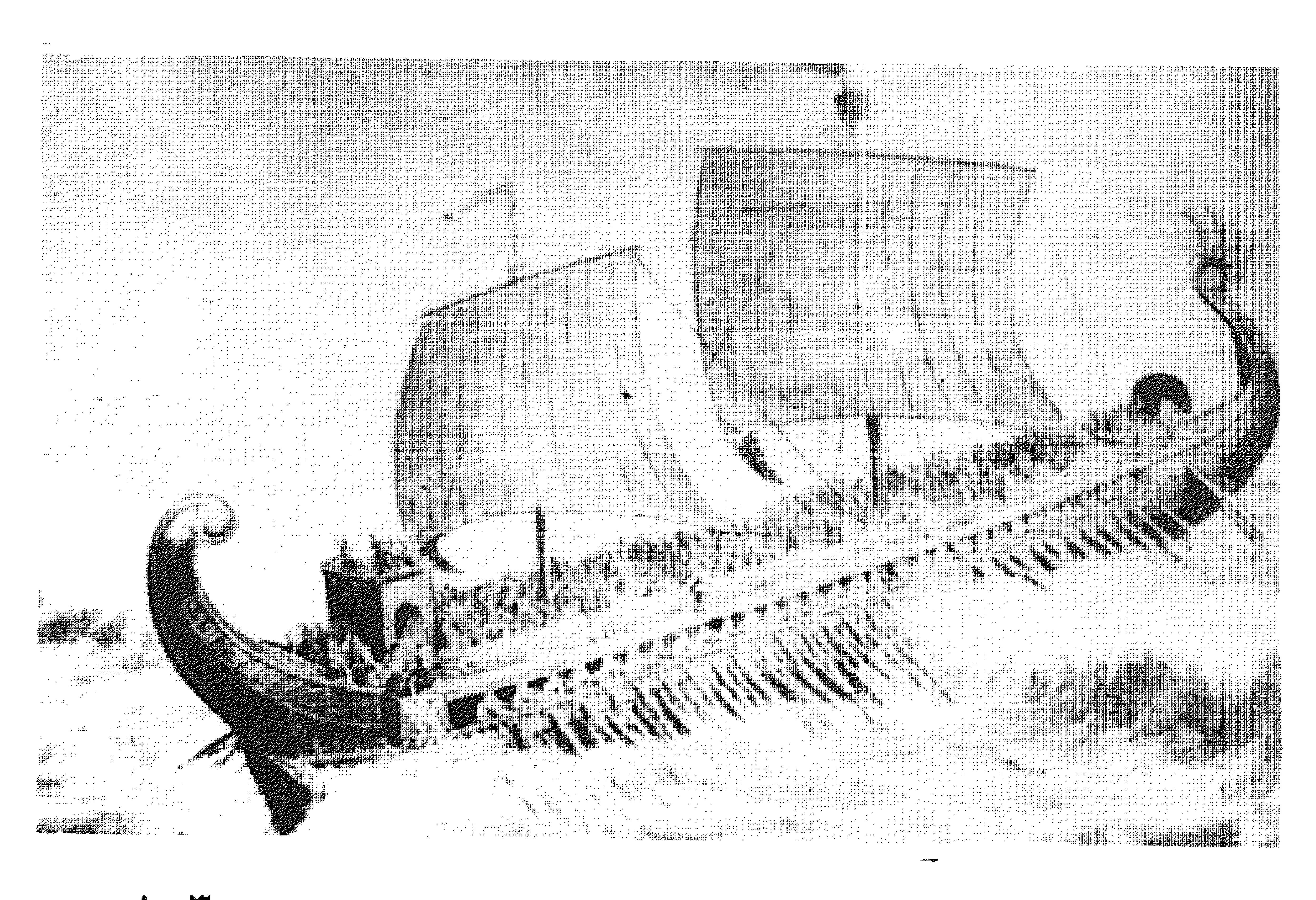


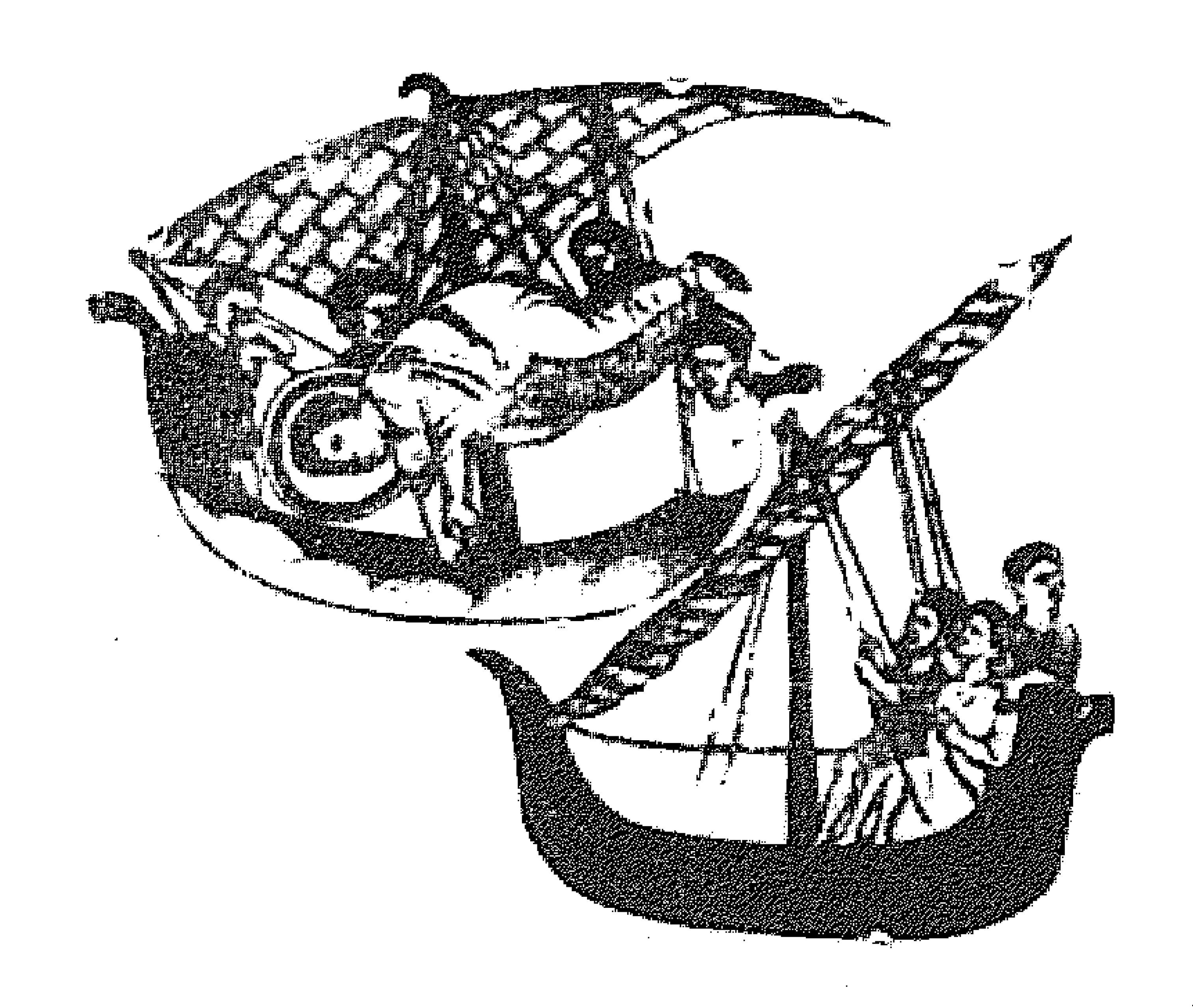


لوحة رقم (٦)
سفينة اغريقية ذات ثلاثة صفوف من المجاديف .

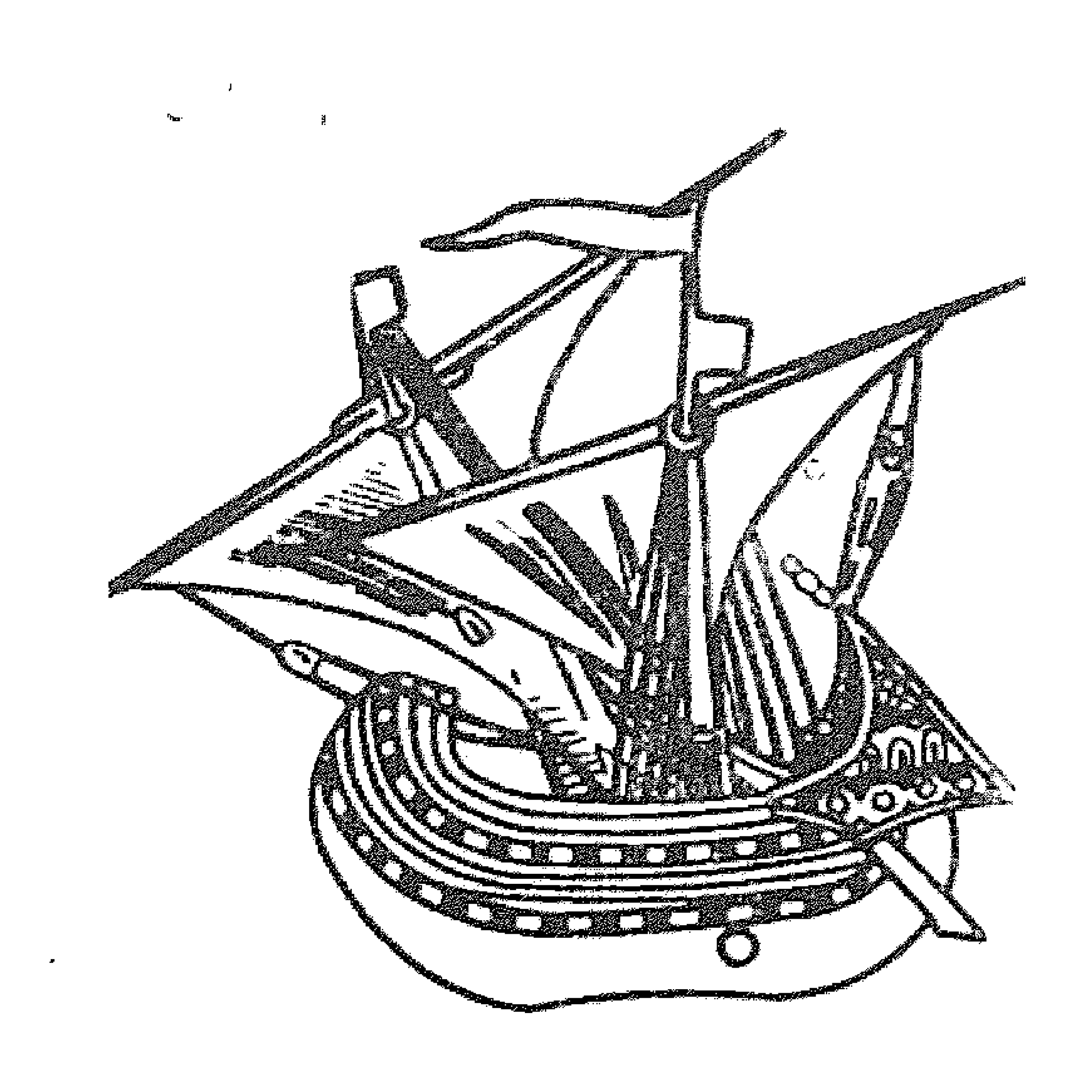
عن (المتحف اليونانى) .

لوحة رقم (٧)
نموذج سفينة ذات ثلاثة صفوف من المجاديف من سفن البحر المتوسط .





لوحة رقم (٨)
(أ) ختم عليه سفينة ذات دفة من سفن البحر المتوسط وترجع إلى سنة ١٢٤٢م .



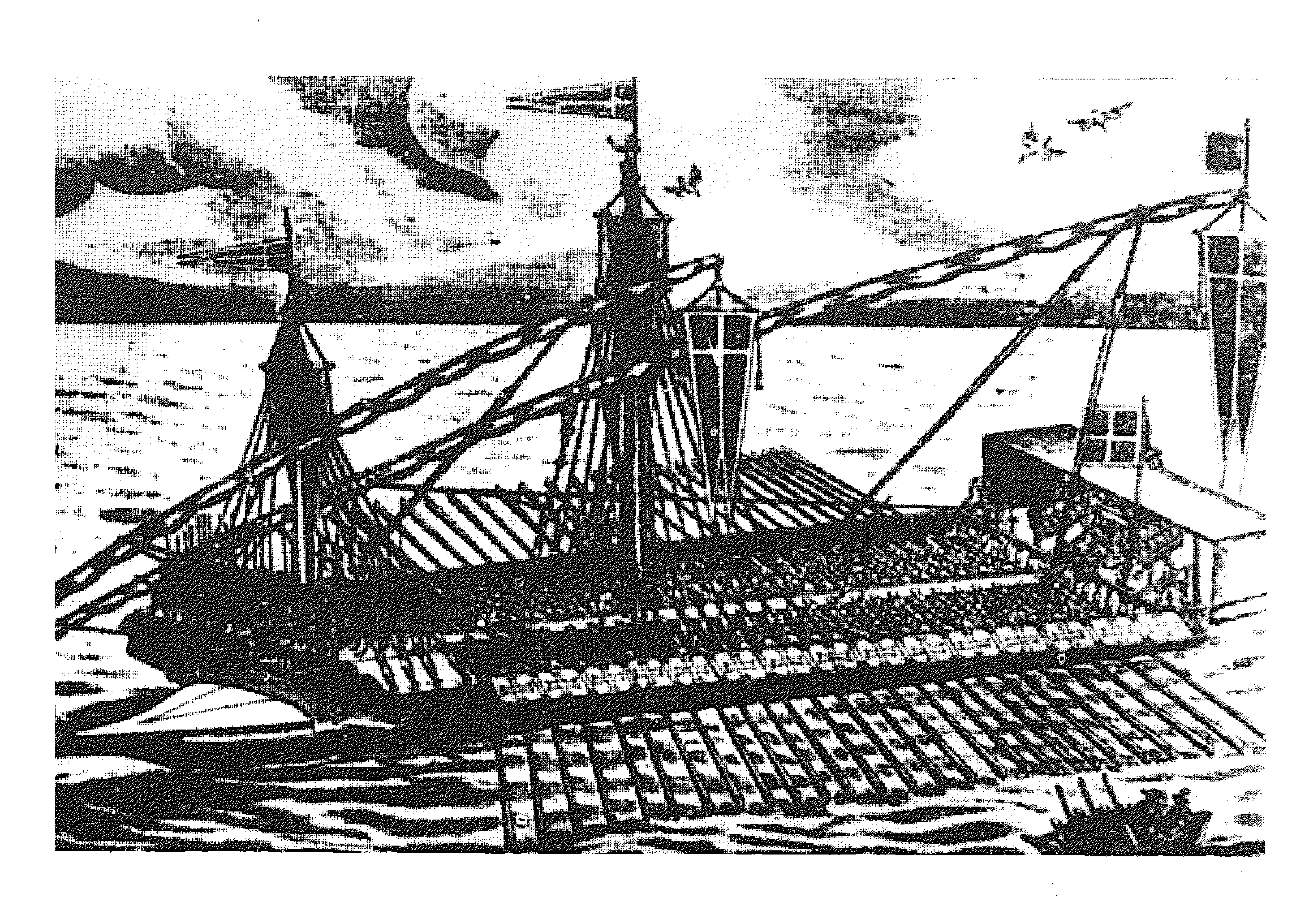
(ب) صورة من مخطوط بيزنطى ترجع إلى ، به رسم مركب تحتوى على شراء مربع أطلق عليه شراع (لاتينى) وقد ثبت طرفان من أطرافه الأربعة فى العمود المثبت فى وسط السارى فبدا الشراع وكأنه مثلث .

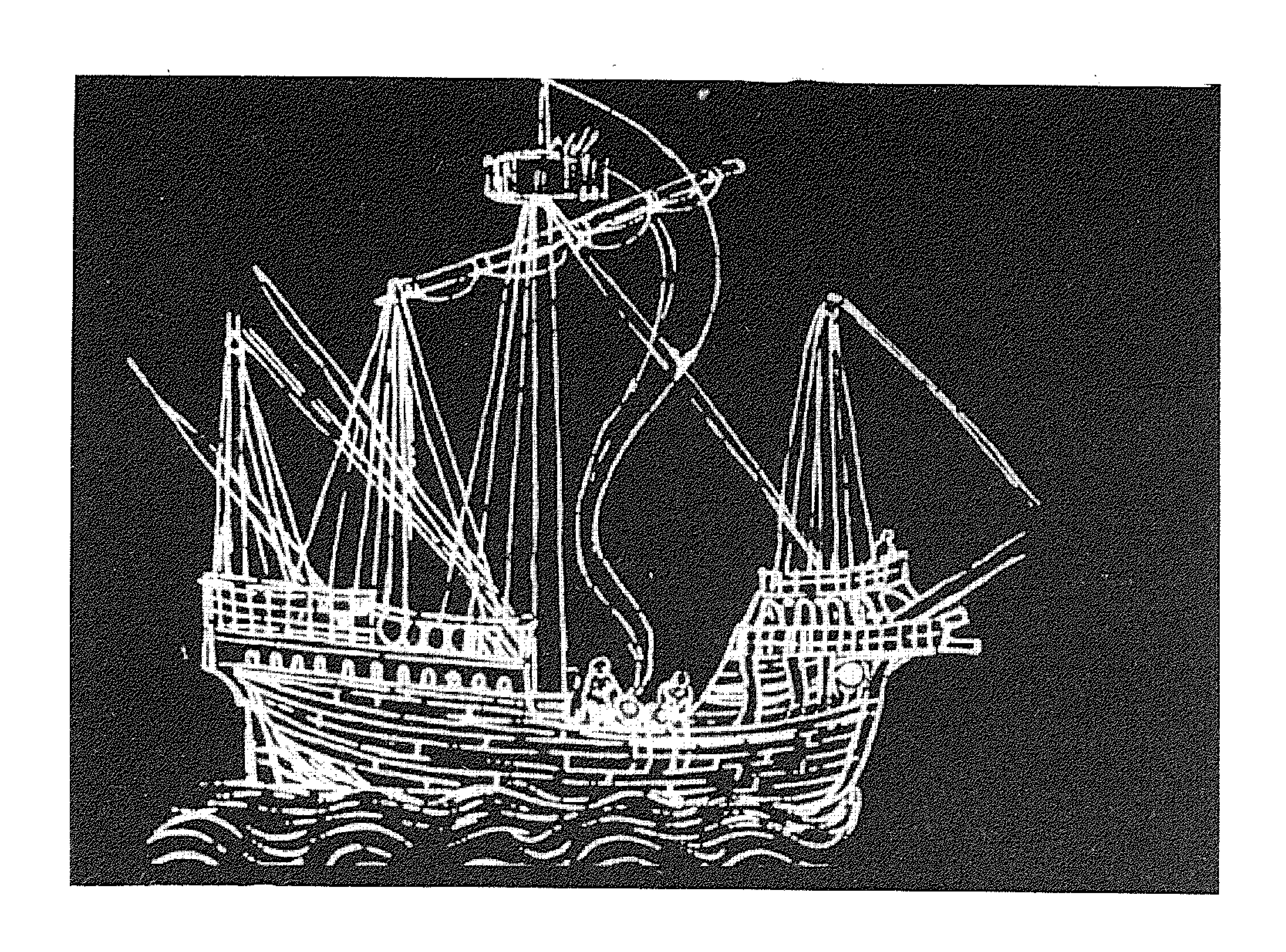


لوحة رقم (٩)

سفينة تجارية ذات شراعين مربعين ترجع إلى القرن الثالث عشر الميلادى . وقد استعمل الغرب هذا النوع من السفن فى الحروب الصليبية فى الشرق .

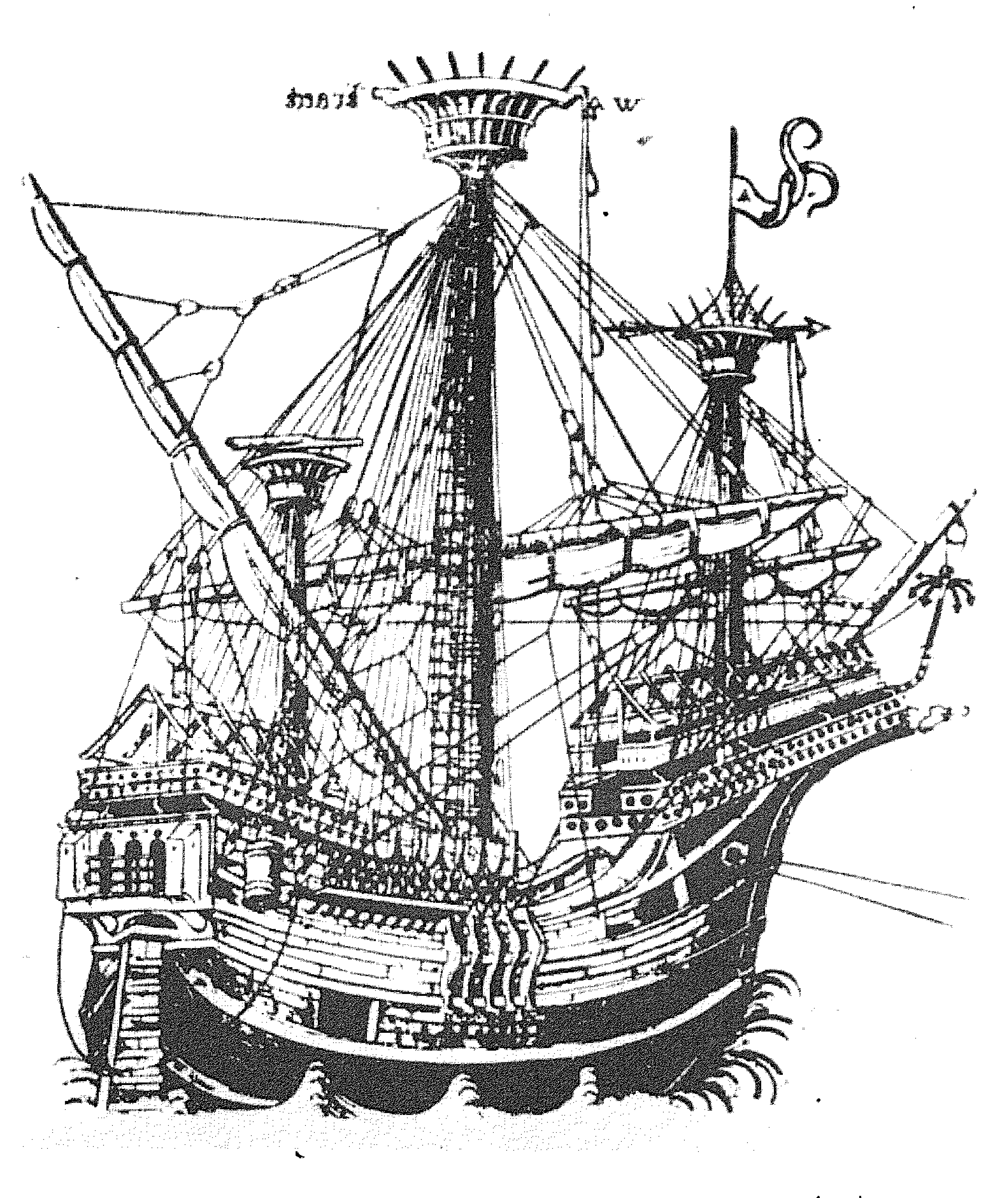
لوحة رقم (١٠)
سفينة من البحر المتوسط يستعمل المجداف الواحد فيها خمسة بحارة وترجع إلى سنة ١٦٢٩م .
عن (History of Technology) .

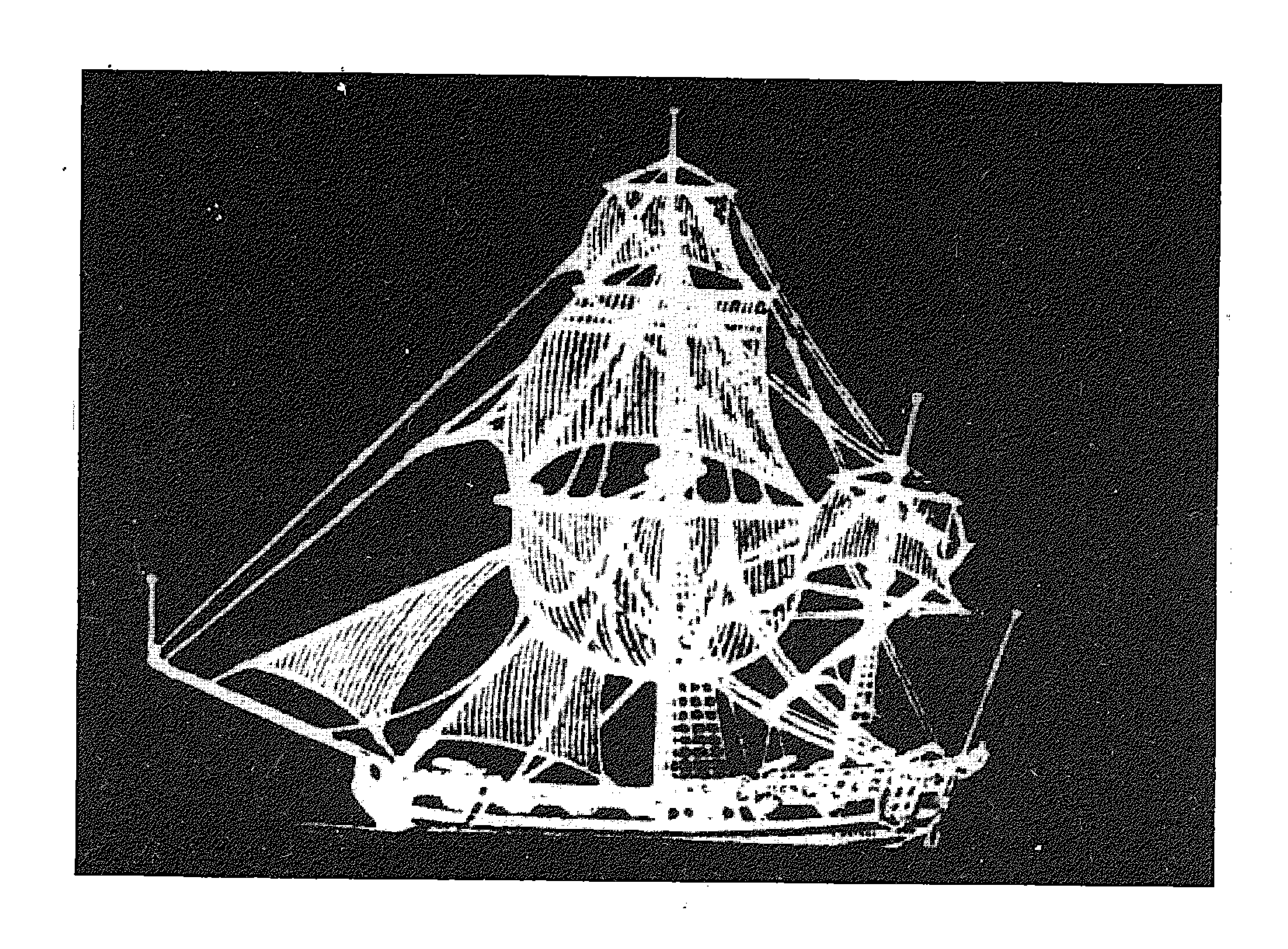




لوحة رقم (١١)
طراز من القرقور نرى فيه ساحتين للقتال فى المقدمة والمؤخرة والمدافع فى الوسط . كما يحتوى على ثلاثة أو أربعة أشرع .

لوحة رقم (١٢)
طراز من الحراقات يحتوى على ثلاثة شرع ، ترجع إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى .

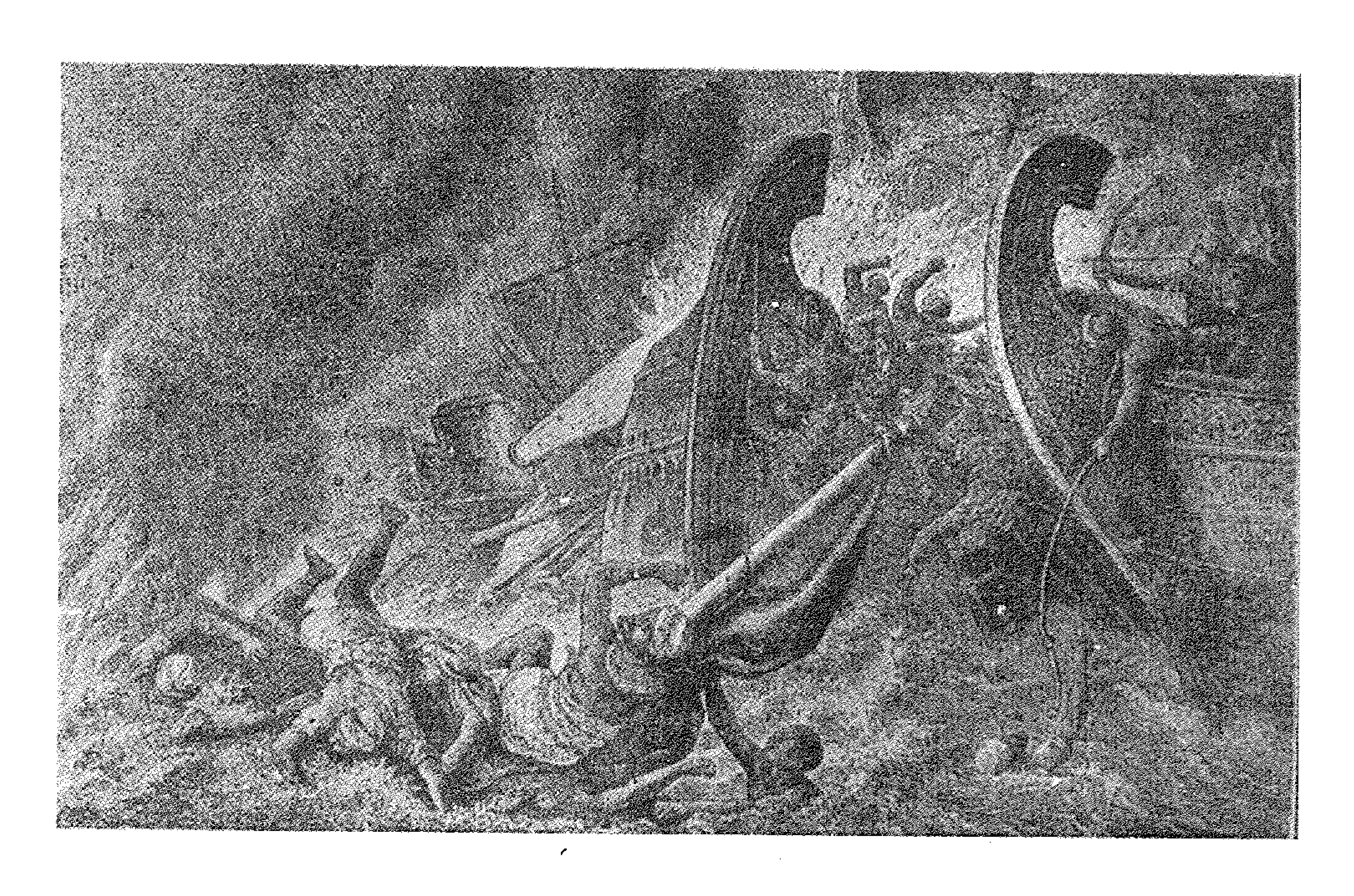


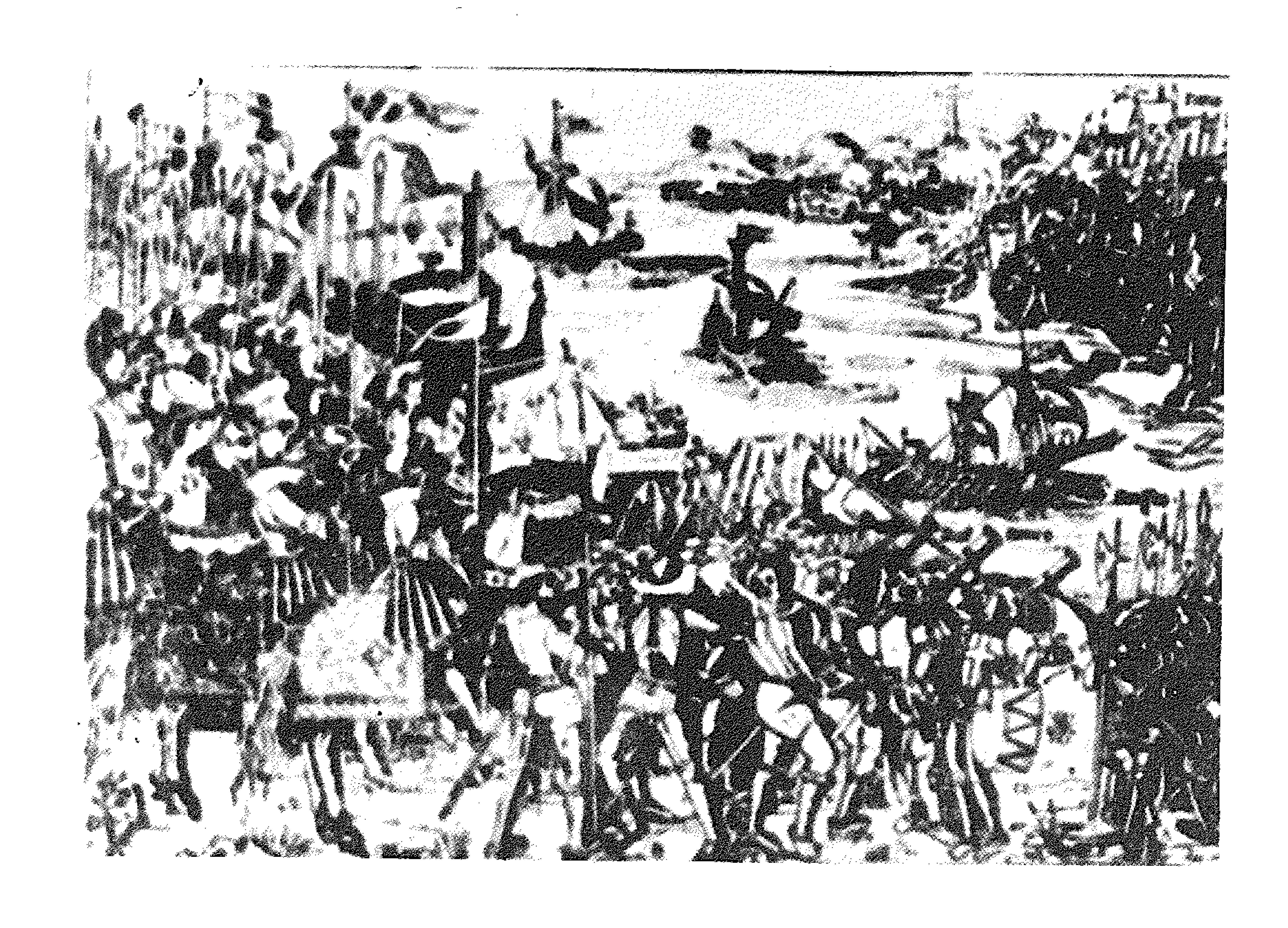


لوحة رقم (١٣)
طراز من السفن المعدة لنقل الملوك ولأمراء ترجع إلى القرن السادس عشر .

لوحة رقم ١٤

تبين معركة ذات الصوارى التى دارت رحاها (٢ /٢) فى ميناء (فيونكة) الذى يقع بين ميناء الأسكندرية وأبى قير ، كما تخيلها الفنان .





لوحة رقم ١٥

صورة محفورة على الخشب تبين حملة الملك لويس التاسع على دمياط سنة ١٢٤٩م
وانتصار المسلمين عليه فى موقعة المنصورة سنة ١٢٥٠ الصورة مأخوذة من كتاب

وقد كتب هذا الكتاب بعد لويس التاسع بمائتين وسبعين سنة .

Lacyoix: La chevalerie et les Cnoisades P. 185.

رقم الايداع ٣١٦٠ / ٦٧

دولى ٣ - ٠٥ - ١٥٨٥ - ٩٧٧

كتب تحت الطبع

١ – **نصوص الشرق الأدنى القديمة**
ترجمة : د. عبد الحميد زايد
مراجعة : د. محمد جمال الدين مختار

٢ – **فن الرسم عند قدماء المصريين**
تأليف : وليم هـ. بيك
ترجمة : مختار السويفى
مراجعة : د. أحمد قدرى

٣ – **إيمحتب**
تأليف : هارى
ترجمة : محمد العزب موسى
مراجعة : د. محمود ماهر

٤ – **المراسم منذ أقدم العصور حتى اليوم**
تأليف : د. ناصر الدين الأنصارى

٥ – **المسلات المصرية**
تأليف : لبيب حبشى
ترجمة : د. أحمد عبد الحميد يوسف
مراجعة : د. محمد جمال الدين مختار

٦ – **العمارة المصرية القديمة (جزء أول)**
تأليف : د. اسكندر بدوى
ترجمة : د. محمود عبد الرازق – صلاح رمضان
مراجعة : د. أحمد قدرى ، د. محمود ماهر

٧ – **دراسات فى اللغة المصرية القديمة**
تأليف : أحمد باشا كمال

٨ - **نهب آثار النيل**

تأليف : بريان فاجان

ترجمة : عبد الرحمن عبد التواب - محمد غطاس

مراجعة : د. أحمد قدرى

٩ - **مصر القديمة (دراسة طبوغرافية)**

تأليف : هرمان كيس

ترجمة : د. محمود عبد الرازق

مراجعة : د. جاب الله على جاب الله

١٠ - **التناسب فى عمارة مدارس العصر المملوكى فى القاهرة**

تأليف : د. على غالب أحمد غالب

مراجعة : د. آمال العمرى

١١ - **جبانة البجوات فى الواحة الخارجية**

تأليف : د. أحمد فخرى

ترجمة : عبد الرحمن عبد التواب

مراجعة : د. آمال العمرى

١٢ - **سجاجيد جورديز فى متحف محمد على بالمنيل**

تأليف : كوثر أبو الفتوح

١٣ - **الدليل العام لرشيد**

تأليف : عبد الرحمن عبد التواب

١٤ - **واحة سيوة**

تأليف : د. أحمد فخرى

ترجمة : د. جاب الله على جاب الله

سلسلة الثقافة الأثرية
مشروع المائة كتاب

صدر منها

١ - **المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية**
تأليف : د. أحمد قدرى
ترجمة : مختار السويفى - محمد العزب موسى
مراجعة : د. محمد جمال الدين مختار

٢ - **تراثنا القومى بين التحدى والاستجابة**
منجزات ١٩٨٢ - ١٩٨٥
اعداد وصياغة
د. أحمد قدرى
عاطف عبد الحميد
آمال صفوت

٣ - **الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة**
تأليف : د. بهاء الدين ابراهيم محمود
مراجعة : د. محمود ماهر

٤ - **الايجازات والتوقيعات المخطوطة فى العلوم النقلية والعقلية من القرن ٤هـ / ١٠م الى ١٠ هـ /١٦م**
تحقيق ونشر : د. أحمد رمضان أحمد

٥ - **لمحات فى تاريخ العمارة المصرية**
تاليف : د. كمال الدين سامح

٦ – **الديانة المصرية القديمة**

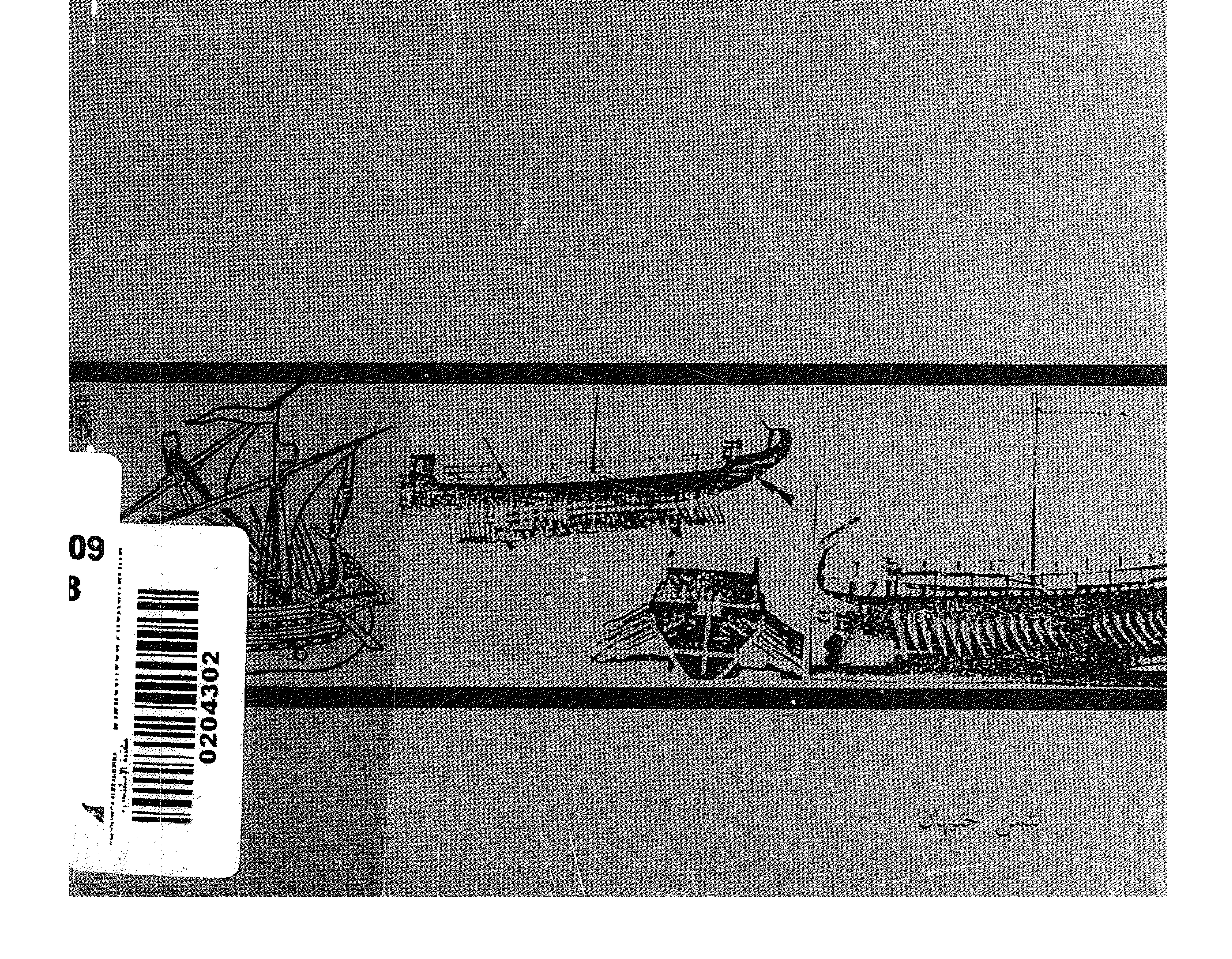
تأليف : ياروسلاف تشرنى

ترجمة : د. أحمد قدرى

مراجعة : د. محمود ماهر

٧ – **تاريخ فن القتال البحرى فى البحر المتوسط «العصر الوسيط»**
(٣٥هـ / ٦٥٥م – ٩٧٨هـ / ١٥٧١م)

تأليف : د. أحمد رمضان أحمد



الثمن جنيهان